Tel : :91-522-2741255, 2741272
Fax :91-522-2741221, 2741231
(Vol. 52, Issue. 06)

Monthly

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341
Regd. No. LW-NP/642006 To 20
(April. 200

AL-BAAS-EL-ISLAMI

إصدارات جديدة:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ الدكتور محمد الصمادي السلفي

دار الداعي للنشر والتوزيع
الرياض

مركز العلامة ابن باز للدراسات الإسلامية
تنزانيا - الهند

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publication) at Kutubkhana Office, Darul Uloom Nadwatul Ulama, Lucknow, U.P.

مؤسسة الصحافة والنشر

المجلد ٥٢

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية

العدد السابع : المجلد: الثاني والخمسون

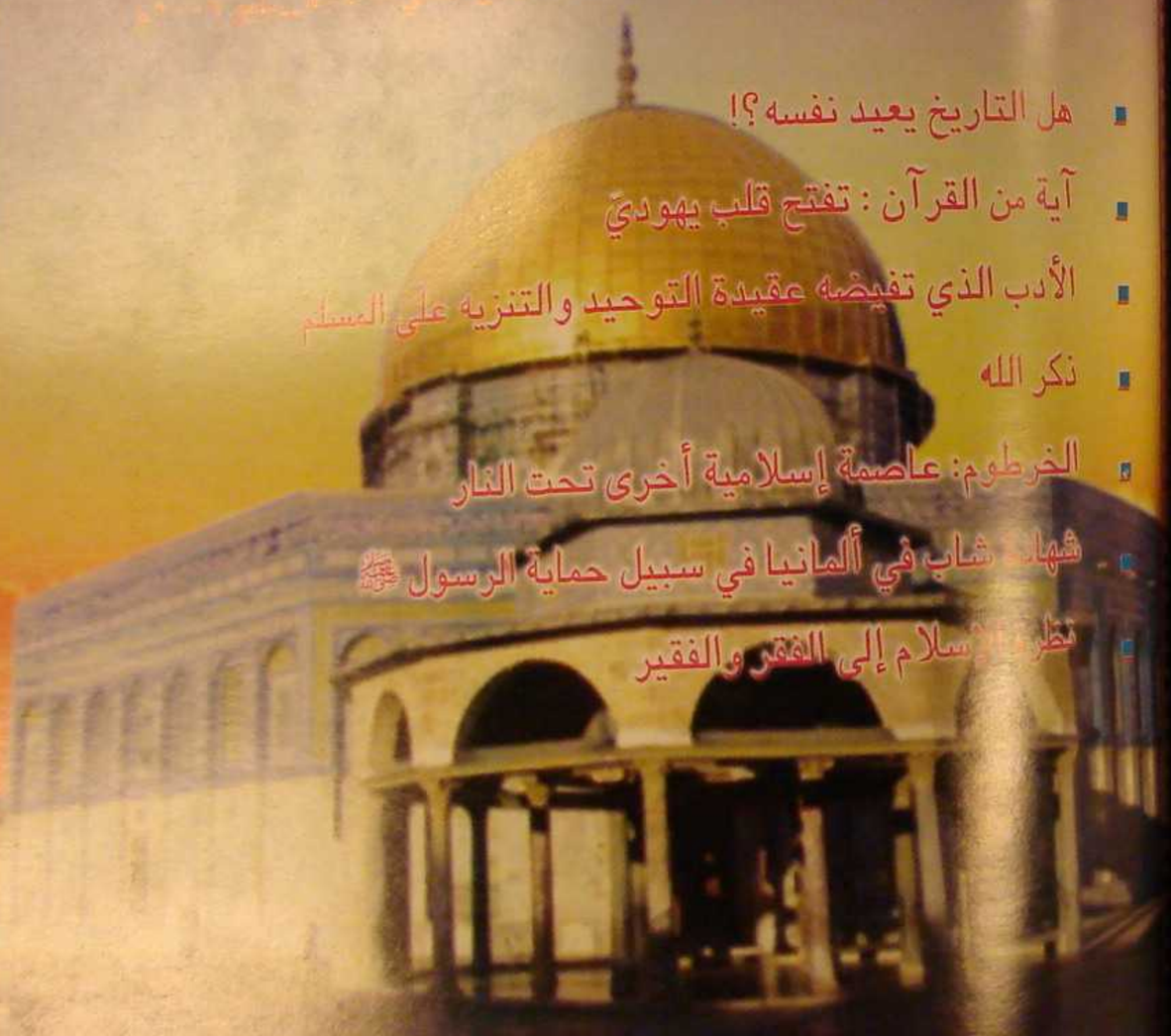

- هل التاريخ يعيد نفسه؟!
- آية من القرآن : تفتح قلب يهوديّ
- الأدب الذي تفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه على المسلم
- ذكر الله
- الخرطوم: عاصمة إسلامية أخرى تحت النار
- شهادة شاب في ألمانيا في سبيل حماية الرسول ﷺ
- نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب-٩٣، لكناؤ- الهند الهاتف:
Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e- mail : theal-baas@nadwatululama.org

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الثاني والخمسون

رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد السابع
ربيع الثاني ١٤٢٨هـ
مايو ٢٠٠٧م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٠٥٢٢ .
الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢ .

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مأتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

ع/٧ - ج/٥٢ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ

الافتتاحية :

هل التاريخ يعيد نفسه ؟! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

آية من القرآن : تفتح قلب يهودي — د/محمد بن سعد الشويعر — ٨

الأدب الذي تفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه على المسلم — سعادة الدكتور غريب جمعة — ١٥

الدعوة الإسلامية :

ذكر الله — سعادة الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي — ٢٣

الخرطوم : عاصمة إسلامية أخرى تحت النار — أ.د/عز الدين إبراهيم — ٣٦

شهادة شاب في ألمانيا في سبيل حماية الرسول الكريم ﷺ — الأستاذ أحمد حمزة الغزالي — ٤١

الفقه الإسلامي :

نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٩

من التاريخ الإسلامي :

البيروني ومنهجه في البحث التاريخي — د/السيد رضوان علي الندوي — ٥٥

الإمام أبو القاسم القشيري حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات — د/محمد عارف الدين الفاروقي — ٦٤

من تاريخ الأدب العربي الحديث :

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية (حتى عام ١٩٥٠م) — الأستاذ د/مجيب الرحمن الندوي — ٧٥

بأقلام الشباب :

منهج الرسول الكريم في تفسير القرآن الكريم — الأخ الأستاذ عبد الحكيم الوافي توتي — ٨٨

أخبار علمية وثقافية :

ندوة علمية تعليمية عن المناهج التعليمية والتربوية في شبه القارة الهندية (تقرير من الندوة) — ٩٤

الأساتذة العرب يزورون ندوة العلماء — الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي — ٩٦

....

الافتتاحية :

هل التاريخ يعيد نفسه ؟!

الناس في هذا الكون أنواع شتى ، فنوع يعيش في غفلة متمادية إلى آخر لحظات الحياة ، وذلك هو النوع الذي يعتقد أنّ جميع الكائنات قفزت إلى الوجود بطريق الصدفة من غير خالق ومدبّر حكيم ، فهو يعتبر نفسه متحرراً عن كل قيد ، ولا يفكّر في تنظيم الحياة وتعيين الهدف وتفجير الطاقات الإنسانية التي يملكها بدون شراكة للغير .

هذا النوع من الناس متوافر في كل مكان ، ليس عنده أيّ تصور للعقيدة ولا الإيمان بالقوة الخارقة ، فيرفض الدين والقيم والسلوك ويزعم أنه حُرّ في إرادته ، ولا رادّ له من ممارسة نشاطاته وشهواته ، وله الخيرة الكاملة فيما يحبه ويبغضه ، لا يحكم في شئون حياته دين ولا قانون ، فيطلق عنان الأهواء إلى حيث ما شاء ، زاعماً أنه يمثّل شرعية الحياة الإنسانية ، وليست عليه تبعة ولا مسئولية ، إلاّ أنه يبذل جهوده لتوفير معاش هنئ وعيش رغيد وفرص متاحة لإدرار المال والجاه والتمكن من المناصب العالية ، ومن ثم يتحمل المشاق كلها ولا يبالي بما إذا أصابه ضرر أو تمثل له خطر وراء سباق مستمرّ تحقيقاً لما يتمناه من فرص مادية شامخة وسعادة كاذبة مزعومة .

هذا النوع من الناس هو الذي يملأ المجتمعات الإنسانية ويسيطر على الأوضاع ويستحكم قبضته على الأسباب المادية التي هي القاعدة الأصيلة لكل صرح يبنيه من الظلم والجور والطغيان ومن

الاستعمار والاستعباد والعدوان ، وبذلك يتركز جُلّ اهتماماته على تمزيق الوحدة الإنسانية التي تمثلت في وحدة الأبوة لجميع البشر : "كلكم من آدم ، وآدم خلق من تراب" .

فإن حاول أحد أن يطبق هذه الصورة الشاذة على الحضارات المشبوهة التي تصول وتجول في المجتمعات الإنسانية المعاصرة ولا تدخر وسعاً في هدم معالم الأخلاق والقيم الإنسانية ، لأدرك أنها تتفاعل وتتنامى على أيدي الطُغم الحاكمة ومن خلال أولئك الأقزام الذين توصلوا إلى سُدّة الحكم على جناح تزويرات وتلفيقات ، ونتيجةً لذلك حدث في العالم ما حدث من غزوات فكرية وثقافية تلتها غزوات عسكرية على بلد دون بلد ، سبّبت خسائر الأرواح والأنفس وسيلان دماء الأبرياء من الشيوخ والنساء والشباب والأطفال غزيرة كالسيول ، وأحداثاً غارقة في أمواج الظلم والجور والاعتداء على الأعراض وانتهاك الحرمات وتعرية الرجال والنساء أمام الذئاب المفترسة ، وتعذيب الناس من غير جريرة ولا جريمة ، زد إلى ذلك ما يحدث في كل يوم وليلة من قصف ونسف وقتل وفتك وتدمير وتشريد وتفجيرات هائلة لا تبقى ولا تذر ، تشمل مناطق واسعة تتحول خراباً ويباباً ، خالية عن كل رئة تتنفس ، و عن كل عين تتبصّر ، ومن كل عِرق يتحرك ، وقد يبلغ عدد المصابين من الضحايا والمنكوبين إلى ما لا يأتي عليه الحصر .

هذه كلها نتائج طبيعية للطبائع المعوجة التي حادت عن الطريق ، وتفرقت بها الأهواء والشهوات وغاصت في الأوحال والمستنقعات ، وحاربت الفطرة السليمة ، إذ ليس من المعقول أن يهجر الإنسان طبيعته الإنسانية التي خلعها الله عليه ، والفطرة التي فطر عليها بكل إلحاح ثم لا يتمادى في الغيّ والضلال والفساد

والظلم والاعتداء بأشمل شكل ممكن ، لا سيما إذا ساعدته الوسائل الكافية من المال والسلاح والسلطة والجنود ، مما يُرهب سكان المعمورة ويبعث فيهم خوفاً يأخذ بمجامع القلوب ، يتمثل كل ذلك على مسارح العالم وعلى مرائي الناس ومسامعهم ، ولكنهم لا ينبسون ببنت شفة ضد الظروف القاسية التي يعيشونها والتي تهددهم بنتيجة مستقبلية سيئة ، إلاّ قليلاً ممن تفتحت بصائرهم ، وتهدّت عقولهم ، وتراءت لهم المخاطر والمتاعب والخسائر الفادحة التي تحدّق بهم ويرونها بعيون عقولهم .

إنهم رأوا أن ما حدث ويحدث في العالم اليوم ، ليس إلا مظهراً من مظاهر الأنانية والكبرياء القومية والإعجاب بالنفس ، والطبيعة الفرعونية التي تمردت على الله تبارك وتعالى ، وقاست الأمور بغير مقياسها ، فلم يغن عنها شئ من ذخائر الأموال والرجال ، وكلما ظهرت هذه الطبيعة الزائفة في أي مكان واجهت أخطر العواقب ، ولم تنج من قضاء الله العليم الحكيم ، يزخر التاريخ الإنساني بمثل هذه الأحداث المأساوية التي نجتاز بها في عالمنا المعاصر ، فليس من الغريب أن نسمع ونرى ما يجري في بلاد المسلمين من ظروف قاسية تهدّد بعواقب سيئة وخاصة إذا ما كان يسود على صفوف القادة المسلمين والمسئولين عن العمل الإسلامي في مجال الدعوة والإرشاد والتوجيه الإسلامي من قلة الاهتمام بتغيير الأوضاع والتدارك بالخسائر والأضرار التي لحقت بحياة المسلمين ومواجهة الأخطار التي تحوم حول حمى الإسلام وتريد تجريد القلوب من عقيدة التوحيد والإيمان الخالص لله ورسوله ، وبالقدر خيره وشره ، وفعلاً ظهرت بعض النتائج السلبية في مجال التعليم والتربية من تقليل المواد الأساسية واختصار الكتاب والسنة بحذف النصوص والسُور التي

توزع الإنسان - كما زعموا - بين خلايا متعددة ، وطوائف مختلفة يتمتع بعضها بالجنة ونعيمها ، والبعض الآخر يكون وقوداً لجهنم ، كما أن طائفة تتلقى البشائر وترفل في حُلل النعيم والأمن والسلام في هذه الدنيا وفي الآخرة ، ولكن الطائفة المضادة تواجه عذاباً وشقاءً في كل مكان ، هذا ما يزعمه أولياء الشيطان وأعداء الحب والعافية والوئام .

ولصد الناس عن سبيل الحق والعزة والعافية والإيمان وترويج الكفر والفسوق والعصيان يجنّدون كل الوسائل المتوافرة من المال والسلاح وثروة الرجال والكفاءات في تحقيق هذا الغرض المشئوم ، ولا يخافون مما إذا فاجأهم عقاب من الله العزيز الجبار ، دون أن يقاوموه أو يردوه في حال ما ، يقول الله تبارك وتعالى فيمن اتخذ إلهه هواه وكفر بالله الواحد القهار ، وجرى على درب الشهوات وكفر بنعمة الله وسخر من حياة الآخرة : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ * وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَّخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ * وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً * فَمَنْ يَّهْدِيْهِ مِنْ بَّعْدِ اللهِ * أَفَلاَ تَذَكَّرُوْنَ * وَقَالُوْا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنَحْيَى * وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ * وَمَا لَهُمْ بِّذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ * إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّوْنَ ﴾ (الجاثية/٢٣-٢٤) ، ويقول في السورة نفسها : ﴿ وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا * أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ * وَكُنْتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِيْنَ * وَإِذَا قِيْلَ : إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَّالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيْهَا * قُلْتُمْ مَا نَدْرِيْ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً * وَّمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوْا وَحَاقَ بِهِمْ * مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَ * وَقِيْلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا * وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ * وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَ * ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً * وَّغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا * فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُوْنَ مِنْهَا * وَلاَ

هُمْ يُسْتَعْتَبُوْنَ * فَلِلّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾ (الآيات/٣٦-٣٧) .

ولا مرية فيما إذا كانت قد بدت طلائع الهزيمة والخذلان في الطريق لهؤلاء المتكبرين الجبّارين ، وجعل ينحسر مَدّ الطغيان والظلم وإهلاك الحرث والنسل وتعذيب المسلمين والعلماء والدعاة واتهامهم بالإرهاب والجرائم الخلقية ، وطفقت نجومهم تقترب إلى الأفول ، وذلك في الواقع مصير كل طائفة إجرامية تستسيغ كل جريمة وتستبيح كل ظلم ، ولا يخفى على العالم ما يعاني منه المجرمون من عذاب نفسي وشعور بالهوان والصغار إزاء الكبرياء التي تظاهروا بها فقد رفضتهم قومهم وأدانتهم شعوبهم ، وخسروا المكانة التي كانوا يزعمونها مِلكاً خالداً وكنزاً دائماً لهم لا يكاد ينتهي .

هذا ، والمسئولية التي تقع على كواهل الأمة المسلمة إنّما هي في غاية من الحساسية ، وهي تطالب منّا أن نُصحّح مسيرة الحياة ونمثّل الحياة الإسلامية المطلوبة التي تكون موضع اهتمام الآخرين ، ومركز أمانيهم وآمالهم ، فنحن مسئولون عن تعريف الناس بالإسلام الصحيح وتقديم قدوة لهم في جميع مجالات الحياة الإنسانية ، ذاك أن أمة الدعوة مأمورة بأداء هذا الواجب بالحكمة والموعظة الحسنة والنقاش مع غيرهم بالطريقة العادلة والأسلوب الهادئ الحكيم ، وإن هذه الدعوة ليست وحيدة ، وإنّما هي مزدوجة بالعمل الصالح والإخلاص وبالدافع الإيماني الصادق وبالتقوى التي أمر الله سبحانه بها عباده المؤمنين ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ * وَلاَ تَمُوْتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴾ ، وقال النبي الكريم ﷺ : "أوصيكم بتقوى الله ، والطاعة وإن تأمّر عليكم بعد حبشي ، ومن يعش فيسرى

اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة ، ولما سئل الرسول المصطفى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياءاً ويقاتل حمية ، أيّ ذلك في سبيل الله ، فقال : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" .

هذا هو المحور الأصيل الذي يجب أن تدور حياتنا حوله بصفة مستمرّة ، وهو الذي يوحّد كلمة المسلمين ويرص صفوفهم ويجعلهم كجسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وتلك هي ضالة المسلمين اليوم التي تركنا البحث عنها ونشدانها في جميع مناحي الحياة وأعمالها وآلياتها و وسائلها ، فلمّا أغفلنا هذا الواجب وفقدنا الشعور بالغفلة ، وتمادينا فيها وضللنا الطريق السويّ وانحرفنا عن الجادة المستقيمة ، وتبلد حسّنا ، أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنبهنا من سبات الغفلة ويُذكرنا بالمكانة التي أكرمنا بها ، وهي مكانة القيادة والريادة ومنصب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فلنتذكر الآن هذا المنصب العظيم ونتأكد أن ما عشنا ونعيش من ظروف مضادة ليس إلاّ إيذاناً بالعودة إلى ظلال الإسلام الوارفة الكاملة ، وليس إلاّ تذكيراً بعزة القيادة العالمية والوصاية على البشرية ، وجاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : "بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا" ، وقال بادروا بالأعمال سبعاً : "هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنىً مُطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ" .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

آية من القرآن : تفتح قلب يهوديّ

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

إن نور الله إذا أراد سبحانه بحاسّة القلب أن تنفتح له ، تغير صاحبه من الانفلاق إلى التبصر ، ومن الظلمة إلى النور ، ليترسخ هذا الإحساس ، وليدفع صاحبه إلى البحث عن الحقيقة ، التي يجدها في عُمْق ما قرأ من آية في كتاب الله ، تربطه بمفهوم دقيق في نفسه ، أو فيما حوله ، أو في موازنة بما لديه من معتقد ، ليقارن ويتبصّر .. ومن ثم يبرز عنده الحق ، ويتضاءل الباطل بعلامات كل منهما .

ويبرز هذا لدى أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - : أتباع موسى وعيسى عليهما السلام ، ليسترشد من أراد الله له الهداية والخير ، ويُعاند مَن تقوم عليه الحجة ، لأنهم يعرفون في كتبهم المنزلة على أنبيائهم ، أن رسالة محمد ﷺ حقّ ، وأن القرآن المنزل عليه ، حقّ من عند الله ، مثبّت لما عندهم ، وناسخ لما في أيديهم من أحكام .

وحديث اليوم ، عن واحد من كبار أحبار اليهود ، والمراجع لهم في كل ما نزل من تشريعات في التوراة ، علاوة على اطّلاعه على أخبار الأمم السابقة ، وما جاء به الأنبياء من قبل ، إذْ كان خبيراً بكتب اليهود ، إنّه : كعب الأحبار .

قد أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ، وأسلم على يديه كثير من اليهود ، كما ذكر الذهبيّ ، في كتابه : "سير أعلام النبلاء" وأورد رواية عن أبي الرباب ، قال : كنت أحد خمسة ، تولّوا قبض السّوس ،

فأتاني رجل بكتاب، فقال بيعونيه فإنه كتاب الله أُحسن قراءته، ولا تُحسنون، فنزعنا دفّتيه فأخذه بدرهمين، فلما خرجنا بعد ذلك إلى الشام أصطحبنا شيخ على حمار، بين يديه كتاب يقرأ فيه ويبكى، فقلت ما أشبه هذا المصحف، بمصحف شأنه كذا وكذا.

فقال: إنه هو، فقلت: أين تريد؟ قال: أرسل إليّ كعب الأحبار عام أول، فأتيته، ثم أرسل إليّ، فهذا وجهي إليه، قلت: فأنا معك، فانطلقنا حتى قَدِمْنا الشام، فقعدنا عند كعب، فجاءه عشرون من اليهود، فيهم شيخ كبير يرفع حاجبيه بحريرة، فقالوا: أوسعوا أوسعوا، فأوسعوا وركبنا أعناقنا - يعني من الحرص والازدحام - فتكلّموا فقال كعب: يا نعيم - وهو الذي اشترى الكتاب - أتجيب هؤلاء، أو أجيبهم؟

قال: دعوني حتى أفقه هؤلاء ما قالوا، إن هؤلاء أثنَوا على أهل ملتنا خيراً، ثم قلبوا ألسنتهم، فزعموا أننا بعنا الآخرة بالدنيا، هلمّ فلنواثقكم، فإن جئتم بأهدى مما نحن عليه اتّبعناكم، وإلا فاتّبعونا، إن جئنا بأهدى منه، قال: فتواثقوا، فقال كعب: أرسل إليّ الكتاب، فجئ به فقال: ألا ترضون أن يكون هذا بيننا؟ قالوا: نعم لا يُحسن أحد أن يكتب مثله اليوم، فدُفع إلى شابّ منهم، فقرأ كأسرع قارئ، فلما بلغ إلى مكان فيه، نظر إلى أصحابه، كمن يؤذنهم بشئ، ثم جمع يديه فقال: يَهْ .. فنبذه.

فقال كعب: آه وأخذه، فوضعه في حجره، فقرأ فأتى على آية منه، فخرّوا سُجّداً، وبقي الشيخ يبكى، قيل: وما يبكيك؟ قال: وما لي لا أبكي، رجل عمل في الصلاة كذا وكذا سنة، ولم أعرف الإسلام حتى كان اليوم، والمسلمون في فتحهم "للوسّوس"، وجدوا النبي

"دانيال" فيها في لحد من صُفْر، وكان أهل السوس إذا أمحلوا، أخرجوه فاستسقوا به، وأصابوا معه، ربطتين من كِتّان، وستين جرّة مختومة، ففتحوا واحدة فإذا فيها عشرة آلاف، وهذا الكتاب، فاشتراه منهم أجير نصراني معهم اسمه: نُعَيْم بدرهمين فأسْلم، فأخبروا عمر ابن الخطاب عن النبي دانيال كما قال ابن كثير، فأمرهم: أن يغسّلوه بالسّدر وماء الريحان ويصلّوا عليه، ويعمّوا قبره عن الناس.

قال الذهبي: إن مطرف بن مالك قال: فبدا لي أن آتي بيت المقدس، فبينا أنا في الطريق، إذ أنا براكب، شهبته بذلك الأجير النصراني، فقلت: نُعَيم؟ قال: نعم، قلت: ما فعلتَ بنصرانيّتك؟ قال: هداني الله إلى الإسلام، ثم أتيت دمشق فلقيت كعباً.

ثم انطلقنا ثلاثتنا فأتينا بيت المقدس، فسمعتْ يهود بنُعَيم وكعْب، فاجتمعوا فقال كعب: هذا كتاب قديم، وإنه بلُغتكم فاقرأوه، فقرأه قارئهم، حتى أتى على هذا المكان: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيْناً * فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ * وَهُوَ فِيْ الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ ﴾ (آل عمران/٨٥).

فأسلم منهم بعدما سمعوا هذه الآية: اثنان وأربعون حبْراً، والحبر هو العالم الكبير في علمه ومكانته عند اليهود، ففرض لهم أمير المؤمنين معاوية ﷺ، في بيت المال وأعطاهم ترغيباً لهم، وتثبيتاً لإيمانهم وإسلامهم.

ولمكانة كعب رحمه الله ومعرفته بحقيقة هذا الكتاب، وأنّ المصحف هذا، ما هو إلا نسخة من التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه الصلاة والسلام، ولم تُغيّر أو تبدّل، فقد كان عند كعب من العلم ما يجعله يخفى أثرها حتى لا تصْرف من يطلّع عليها عن القرآن المجيد، خوفاً من دلالة هذه الآية، وأمثالها مما في القرآن، في الحوار مع

أهل الكتاب : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ * نَبَذَ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ * كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُوْرِهِمْ * كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ (البقرة/١٠١) .

أو تأنيب رسول الله ﷺ ، لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغضبه لما رأى في يده صحيفة من التوراة ، و قال : **"أفي شكّ مما جئت به يا ابن الخطاب والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتّباعي"** فرماها عمر رضي الله عنه .

ولهذا فإنّ الذهبي قال عن همام : وحدثني بسطام بن مسلم ، حدثنا معاوية بن قرّة ، أنهم تذاكروا ذلك الكتاب ، فمرّ بهم ابن حَوْشَبْ ، فقال على الخبير سقطتم ، إنّ كعباً لما احتُضر ، قال : ألا رجل أ ائتمنه على أمانة ؟ فقال رجل : أنا فدفع إليه ذلك الكتاب ، وقال : أركب البحيرة ، فإذا بلغت مكان كذا وكذا ، فاقذفه فخرج من عند كعب ، فقال : كتاب فيه علم ، ويموت كعب لا أفرّط فيه ، فأتى كعباً وقال : فعلْتُ ما أمرتني به ، فقال كعب : فما رأيت ؟ قال : لم أر شيئاً ، فعلم كذبه ، فلم يزل يناشده ، ويطلب إليه حتى أتى به إليه ، فقال : ألا من يؤدّي الأمانة ؟ قال رجل : أنا ، فركب سفينة فلما أتى ذلك المكان ، ذهب ليقذفه ، فانفرج له البحر ، حتى رأى الأرض ، فقذفه وأتاه فأخبره ، فقال كعب : إنّها كما أنزلها الله على موسى ، ما غُيّرت ولا بُدّلت "يعني هذه النسخة من التوراة" .

ولكن خشيتُ أنْ يتكل الناس على ما فيها ، وقد أغنانا الله عنها بكتابه العزيز ، الذي أنزل على محمد ﷺ ، ولكن قولوا : لا إله إلا الله ، ولقّنوها موتاكم .

وهذا القول من كعب - كما عقّب الذهبي رحمه الله - : دالّ

على تلك النسخة ، ما غُيّرت ولا بُدّلت ، وأن ما عداها بخلاف ذلك ، فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التوراة ، شيئاً على وجه الاحتجاج ، مُعتقداً أنّها التوراة المنزّلة ، كلاّ والله .

(سير أعلام النبلاء : ص/٤٩٢-٤٩٤)

• **فتح عكّا وبقية الساحل :**

ذكر ابن كثير في تاريخه ، عن الحروب مع الصليبيين قائلاً : في عام ٦٩٠هـ جاء البريد إلى دمشق في مستهلّ ربيع الأول ، لتجهيز آلات الحصار لعكّاء ، ونودي في دمشق : الغزاة في سبيل الله إلى عكّاء ، وقد كان أهلها في هذا الحين ، عَدُوّاً على من عندهم ، من تجار المسلمين فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأبرزت المجانيق ، إلى ناحية الجسورة وخرجت العامة والمتطوعة ، يجرون في العجل ، حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء ، وتولّى ساقتها علم الدين الدويداري .

وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام ، وخرج هو في آخرهم ولحقه صاحب حماة ، الملك المظفّر ، وخرج الناس ، من كل صوب ، واتّصل بهم عسكر طرابلس ، وركب الأشْرف من الديار المصرية ، بعساكره قاصداً عكّاء .

فتوافت الجيوش ، هنالك ، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ، ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية ، يمكن نصبها عليها ، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها ، والتضييق على أهلها ، واجتمع الناس بالجوامع ، لقراءة صحيح البخاري ، فقرأه الشيخ شرف الدين ، وحضر القضاة والفضلاء والأعيان ، وفي أثناء حصار عكّاء وقع تخبيط من نائب الشام ، وتوهّم أن السلطان يريد مسْكه ، فركب هارباً ، فردّه علم الدين بالمسابّة ، وجاء به إلى السلطان فأرسله إلى صفد ، وصمّم

السلطان المظفّر : على حصار عكّاء ، فرتّب الأمور والأسلحة ، ثم زحف يوم الجمعة ، سابع عشر جمادى الأولى ، ودقّت المدافع ، بذخائرها وعتادها ، وهي (٣٠٠) حمل جملة واحدة ، عند طلوع الشمس .

وطلع المسلمون على الأسوار ، مع طلوع الشمس ، ونصبت السناحق الإسلامية ، فوق الأسوار في البلد ، فولّتْ الفرنج عند ذلك الأدبار ، وركبوا هاربين ، في مراكب التجار ، وقتل منهم عدد لا يعلمه إلا الله تعالى ، وغنموا من الأمتعة والرقيق ، والبضائع شيئاً كثيراً جداً ، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها ، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك .

فيسّر الله فتحها نهار جمعة ، كما أخذتها الفرنجة من المسلمين ، في يوم الجمعة وسلّمتْ صور رصيداً قيادتهما إلى الأشرف ، فاستوثق الساحل للمسلمين ، وتنظف من الكافرين : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ (الأنعام/٤٥) .

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ، ففرح المسلمون ، ودقّتْ البشائر في سائر الحصون .

وأرسل السلطان إلى صورا أميراً ، فهدم أسوارها ، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ٥١٨هـ .

وأمّا عكّا فقد أخذها الملك الناصر أيوب ، من أيدي الفرنج ، ثم جاء الفرنج فأحاطوا بها ، بجيوش كثيرة ، ثم جاء صلاح الدين ليمانعهم عنها ، مدة ٣٧ شهراً ، ثم آخر ذلك استملكوها ، وقتلوا من كان فيها من المسلمين ، والحمد لله على إعادتها .

(البداية والنهاية : ج/١٣ ، ص/٣٢٠-٣٢١)

***

الأدب الذي تُفيضه عقيدة التوحيد والتنزيه على المسلم

بقلم : سعادة الدكتور غريب جمعة
(جدة - المملكة العربية السعودية)

لا ينكر علينا أحد أن العرب بعد أن كانوا من الجاهلية على حل من الخلل الاجتماعي والخلقي ، لم يمكنهم من الصعود إلى مراقي العمران درجة واحدة ، وأصبحوا فجأة بواسطة الروح التي بعث الله بها رسوله محمداً ﷺ أمة دانت لها الأمم طوعاً وكرهاً وآلت إليها خلافة الله في الأرض قروناً طويلةً ، كانت في خلالها حاملة لواء العدل والحرية والمساواة والرقي الصوري والمعنوي بأخص معانيهما ، وهذا الرقي الفجائي أتاهم سره الكبير من تلك الروح الكاملة العالية التي تنزلت عليهم لما استنزلوها بما أشربوه من عقائد وخصال ؛ من هنا كان البحث في أسرار عقائد الإسلام هو الطريق الصحيح المؤدي إلى إدراك ذلك الإكسير المحمدي الطاهر ، ولما كان التوحيد والتنزيه هما أكبر ما جاء به النبي الكريم ﷺ لتقريره للعالم الإنساني ، فلا شك في أنهما القانون الجامع لأسرار ذلك الإكسير كله أو أنهما العنصران الفعالان فيه من بين سائر عناصره الأخرى التي هي بمثابة المساعدات لفعله ، العاملات على أثره .

فالتوحيد هو أن توحد الله في ذاته وصفاته وأفعاله ، ومعنى ذلك في اصطلاح المتكلمين كما جاء في كلمات أبي البقاء : "أن للتوحيد ثلاث مراتب" .

١- **توحيد الذات** : وهو مقام الاستهلاك والفناء في الله فلا موجود إلا الله .

٢- **توحيد الصفات** : وهو أن يرى كل قدرة متفرقة في قدرته الشاملة ، وكل علم مضمحلاً في علمه الكامل بل يرى كل كمل لمعة

من عكوس أنوار كماله .

٣- **توحيد الأفعال** : وهـو أن يتحقـق بعلـم اليقـين أو بعـين اليقين أو بحق اليقين أن لا مؤثر في الوجود إلا الله .

وأما التنزيه : فهو أن تنزهه سبحانه وتعالى عن مشابهة الخلق ، وأن تتبرأ من كل ما يجيش بصدرك مـن الميـل إلى تكييفـه وتصويـره ، وأن تسد نافذة الخيال في مجال التفكير فيه ، وأن تعتقد قلباً وقالباً بأنـه الحي القيوم اللطيف الخبير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ * وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ * وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ * وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ، وأن كل سـعي تبذلـه في تصوره بصورة وكل جهد تعمله في الوقوف له على ماهية أو كيفية أو كمية ضائع سدي وذاهب عبثاً ، وأن تجزم جزماً لا تردد فيه أن "**كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك**" .

ولهاتين العقيدتين أثر على نفس معتقدهما من جهـة التـأديب النفساني والتكميل الخلقي لا يدرك قيمته إلا من أشـرقت عليـه لمعة من نوره ، وحفت به نفحة من جلاله ، فهما أكسيران إلهيان ، وروحـان سماويان ، تنزلان مـن النفـس الإنسـانية منزلـة الشـمس مـن سمائـها ، فتطرد من دياجير الرعونـات البشـرية ، وتزيـل مـن أدران المقتضيـات الوراثية ما لا تستقل بوصفه الأقلام ، ولا تتطلع لمداه الأفهام .

فلـهاتين العقيدتـين أثـر علـى نفـس المعتقـد بـهما بـالمعنى الصحيح ، لا من ألصق نفسه بالعقيدة وادعاها .

فقد تسامح الناس في هـذا المعنـى حتـى أطلقـوه علـى الذيـن يتوهمون أنهم معتقدون ، وما هم إلا قـوم ورثـوا عـن آبائـهم تَيْنـك (اسم إشارة للمثنى المؤنث) العقيدتين بعد أن طال على آبائهم الأمـد ونسوا حظاً مما ذكـروا بـه ، فأخذوهمـا عنـهم لفظـاً مجـرداً ، وحشـروا أنفسهم بذلك في مصـاف أهـل التوحيـد والتنزيـه اسمـاً ، ثـم تركـوا

أنفسهم عملاً وفعلاً لأهوائهم وأهواء آبائهم مـن قبلـهم ، ممـا ينـافي تينك العقيدتين ويجافيهما ، وسموا ذلك ديناً لهم جروا عليه أحقاباً وقروناً ، فجمدوا عليه جمود الإنسان على صفاته الموروثة ، وعاداته المألوفة .

🕮 من هو المعتقد الحق بهاتين العقيدتين ؟ (*)

نريد بالمعتقد الحق بهاتين العقيدتـين مـن عقـد لهمـا قلبـه ، و وقف عليهما عقله ولبه ، فسرت أنوارهما في أعماق سرائره ، ونفذت سيالاتهما المحيية إلى طويات ضمائره ، وبات وهما أدخل في نفسـه مـن نفسه ، وألصق بمعناه من حسه .

لا جرم أن المعتقد على هذه الصورة يحس في نفسه آداباً عظاماً، ويأنس من ذاته سجايا فخامـاً تنشـأ فيـه نشـوءاً طبيعيـاً ، وتنبـع مـن جوهره نبوعاً ذاتياً ، فلا يلبث أن يكـون فـاضلاً وهـو لا يـدرك معنـى الفضل في عرف الحكمة الأخلاقيـة ، ويصبـح حكيمـاً وهـو لا يـدرك تحديد الحكمة في الاصطلاحات الفلسفية .

وهل بغير هذا البيان يستطيع الباحث أن يفسـر سـرعة تطـور العرب من الجاهلية الجهلاء إلى المدنية الأدبية العلياء ، في أقل من ربـع قرن ؟ وهي مدة لو كانوا قلبوا البيـوت فيـها مـدارس وأتـوا للعـرب بكبار الرومان واليونان وفارس فمـا كـانوا يسـتطيعون أن يبطلـوا مـا كانوا مغرمين به من شرب الخمر - وقد يكون أقل مصائبهم خطراً من وجهة نظر البعض - فما بالك بتلك القوة التي كرّهتهم (بدون مدارس ولا فلاسفة) في الخمـر والميسـر وطلـب الثـأر وحـب الانتقـام والـغارات والانقسامات والتفاخر بالآباء وعدم المساواة وهضم حقوق النسـاء ، و دفن البنات أحياء ... إلخ من المصائب الاجتماعية والبلايا الأخلاقية .

(*) هذا العنوان وما بعده من عناوين أخرى من وضعنا لإبراز الأفكار الرئيسية في هذه الرائعة من روائع الأستاذ محمد فريد وجدي غ.ج.

ثم إذا أضفت لهذا ما تلاه من رقيهم السريع ، وقيامهم بخلافة الله في الأرض قياماً أدهش الحكماء وحبر العرفاء ، وأرغم معاطس العتاه ، وطأطأ جباه المتألهين الجفاة ، وهم شرذمة معدودة ، وأحاد محدودة ، لعلمت أن هذه قوة القوى ، وأن الباعث لها من العقائد لابد أن يكون ناموسها الأكبر وملاكها الأعظم .

ولا أريد أن أسوق البراهين الطبيعية الدالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما يشاكل مخلوقاته ، وعلوه على كل ما يخطر ببال أحد من عباده ، فالكون بجملته وتفصيله يدل على هاتين العقيدتين دلالة لا تحتاج لإجالة نظر وأعمال فكر ، ولكن الذي أريده هو : شرح ذلك الأدب الإلهي الذي تفيضه هاتان العقيدتان على المعنى الإنساني فتقلبه إنساناً سوياً على مقتضى القالب الفطري والنموذج الإلهي بدون علاج من كتب الأخلاق ولا رياضة من قانون الفلسفة ، ولو كنت واثقاً من إكسير الكيمياء الذي يقال : إنه يقلب المعادن ذهباً ، لقلت : إن هاتين العقيدتين تشبهانه من حيث اسيتلائهما على جوهر الإنسان ، ونفي التلونات العارضة عنه ،وسبكه سبكاً جديداً على مقتضى قانون ليس في قدرة العقل الحوم حول تفاصيله .

📖 ماذا تعني : لا إله إلا الله ؟

من وحد الله فقد اعتقد أن **"لا إله إلا الله"** ، ومن اعتقد ذلك رسخت في ضميره عقائد تتبعها ، وانجلت عنه أوهام لا تتفق معها ، أما ما يرسخ في ضميره من العقائد التي تتبعها فتيقنه بأن : **لا معبود إلا الله ، و لا محيي إلا الله ، و لا مميت إلا الله ، و لا رازق إلا الله ، و لا حارم إلا الله ، و لا نافع إلا الله ، و لا ضار إلا الله ، و لا حول و لا قوة إلا بالله .**

وأن لو اجتمعت الإنس والجن على أن ينالوا أحداً بخير فلن يستطيعوا ذلك إلا بإذن الله وتقدير الله .

وإن أجمعوا على أن يصيبوه بشر فلن يطيقوه إلا بقضاء الله وحكم الله ، وأن كل ما دون الله وجود حائل وظل زائل ، وما يشاهد من حركات الناس وأفعالهم مما ينسبه قصر النظر إليهم ، فهي نسبة مجازية وأمور اصطلاحية ، أما هم في الحقيقة فآلات منفعلة ، وحوادث منصرفة ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا كسباً ، ولا يستطيعون لغيرهم شراً ولا ضراً ، مملوكون لقدرة لا تحد بحد ولا تقاس بعد ، فما الملوك في أبهتها وتعاظمها ، والقادة في تكبرها وتجبرها أمام هذه القدرة المحيطة بالأكوان ، التي لا تحدها الأذهان ، إلا كمثل الضعفاء في مسكنتهم ، والبسطاء في عجزهم .

ولو عقد الإنسان فؤاده وعقله على هذه العقيدة ، وأبعد عنه شياطين التأويلات وأبالسة التحريفات ؛ تنزلت على فؤاده من عالم الكمل الإلهي صفات عالية وخصائص سامية ، تستدعيها الحال التي آل إليها ذلك الفؤاد من التجرد والصفاء كما يستدعى الملزوم لازمه ، وكما يطلب الموصوف صفته .

وأول ما يهب عليه من عالم النفحات القدسية عاطفة الاستقلال والحرية ؛ فيحس أنه والكل سواء ، فما الملوك في قصورها والكبراء في ثروتها ورياستها إلا مثله مربوبون مملوكون لا يملكون لأنفسهم حياة ولا نفعاً ؛ فيسقط من ذهنه صنم الوهم الذي يخيفه منهم ، و يدعوه للتحكك بهم لثقته أنهم آلات منفعلة لقوة الله وتأثيره ، وأشباح تروح وتجئ بأمر الله وتسخيره ، فيرى أنه حر ليس لأحد عليه ميزة في الحقوق الإنسانية ، وأن القانون الذي يجب أن يشمله هو وجميع أفراد نوعه هو قانون العدل والمساواة لا قانون التحايز والمحابة ، ويتحقق أن ما طرأ على العالم من مصيبة الخضوع للقادة المطلقين والسادة القاهرين الجبارين ، هو تفريط الناس في حقوقهم الشخصية ، وخضوعهم لقوتهم الوهمية التي تريهم أن

قادتهم من طينة أرقى من طينتهم ، فتراه مسوقاً سوقاً اضطرارياً لأن لا يسلم بتحكم روح على روحه ولا بعدوان أحد على حقوقه ، فلا يرضخ لمسيطر يميل لتسخيره في أهوائه ، وتصريفه في شهواته ، هذه الروح المستقلة تدفعه بطبعها لمعاداة كل من يعارضها من بني نوعه سواء كانوا من المدعين للوصاية الروحية الملتصقين بالوظائف الدينية أو من الذين يريدون اغتصاب السلطة الدنيوية ، وصرف الأمم إلى أحكامهم الاستبدادية .

فهو من هذه الجهة من أشد أعداء المتألهين ، وأشد أضداد المستبدين ،من أي قبيل كانوا ، وبأي صيغة ظهروا ، فلا يذله ما يبذله الملوك من كواذب الألقاب ، وجواذب الوسامات ، ولا يأسره ما يأتيه به مدعو للسلطة الروحية من فواتن الأوهام وخوادع الأحلام ، لما يرى فيها من الذهاب بحريته وكماله والعدوان على استقلاله .

حينما يكثر الموحدون الصادقون في أمة من الأمم :

تخيل أمة يكثر في أحادها الموحدون الصادقون ، ثم انظر كيف تنعدم فيه هاتان السلطتان الضارتان ، سلطة الملوك المطلقين ، وسلطة الرؤساء الدينيين ؛ وهما السلطتان اللتان نخرتا عظم الإنسانية وبلغتا من هضم حقوقها إلى زعم أن لا وجود لها مع وجود رؤسائها وأن حياتها فانية في حياتهم .

نعم تنعدم فيها هاتان السلطتان وينعدم معهما ما يتبعهما من نقص في نظام الحكومات ، وجور في قوانينها ، وامتيازات بين رعاياها واستئثار من طائفة منها بالسلطة الروحية مدعية حق الهيمنة على أرواحها وعقائدها مما دعا ويدعو إلى أمور تستنفر العواطف الساكنة ، وتوقظ الفتن النائمة ، وتجر إلى كراهية السلطة ومجافاة للتدين بالكلية هرباً من أولئك المغتصبين ، وحال العالم كله شاهدة بذلك .

أما ما ينشأ عن التوحيد من عواطف أخرى فمما لا يستقل

باستيفائه كتاب ، كعاطفة الشمم وكبر الفؤاد وعزوف النفس ؛ فلا يداهن الملوك والأمراء ولا يتقرب إلى الأغنياء ، لتيقنه أن الذي أعطاهم قادر على أن يعطيه أضعاف ما عندهم إن أراد لذلك و وفقه له .

فإن همّ به خاطر رغبة إلى الصعود لتلك المراكز الدنيوية وجه وجهه شطر من بيده الإعطاء والمنع راغباً إليه أن يهبه من القوة والأهلية ، وأن يوقظ في ذاته عوامل النجح في مراميه القصية ما يذلل به صعاب الحوائل ويدنى له منال الوسائل ، فإن نال مناه وبلغ مداه زاد بالحق يقيناً وفي مذهبه تمكيناً ، وإن أخفق سعيه وأكدى جهده اتهم الوسائل التي استعملها واستقل القوى التي بذلها فزاد في وسائله تكميلاً وأمد قواه تنشيطاً حتى يبلغ ما قدر له وهو عالي الهمة كبير الفؤاد ، لم يلق به الجهل إلى مداحض الذلة ولم يدهوره الطمع إلى مزالق الخسة .

تخيل أمة يكثر فيها أمثال هؤلآء الموحدين تراها أفخم مظهراً وأكبر مخبراً من أية أمة عصرية ممن وفرت في نفوس أحادها عاطفة الاعتماد على النفس والثقة بالذات كالإنجليز والأمريكان والألمان والروس مثلاً ، فإن هذه الأمم استمدت هاته العاطفة من النظر في نواميس الحياة نظراً مقصوراً عليها ، أما أولئك الأفراد فتنزلت عليهم هذه العاطفة من جانب الكمال الإلهي الأقدس ، فلا جرم إن التاتت هذه العاطفة لدى الأمم العصرية بشئ من النقص والجور والشره والمزاحمات الجنونية القاتلة لكثير من العواطف القلبية ، ولا غرو إن نشأ تحت سمائهم الفوضويون والعدميون وغيرهم ، أما الأولون فتراهم مع تمتعهم بتلك العاطفة - عاطفة الشمم وكبر الفؤاد - متعاطفين متراحمين جمعتهم الحياة برباط من حب خالص ، و ود وثيق العُرى لاتحاد وجهتهم في طلب الكمال الإلهي لالتئام أمرهم على النفع

الدنيوي.

هؤلاء لا يتنزهون عن أمراض المجتمعات الحية فتصيبهم لفحات من التنافس على أعراض الحياة وفواتن السلطة والجاه، ولكنك مع ذلك لا تعدم فيهم تلك الأريحية للرحمة وذلك الميل للتصافي والحب فلا يضيع بينهم فقير ولا يُهضم لديهم ضعيف.

وإن ضاع فقيرهم أو هضم حق ضعيفهم، فهما ضياع وهضم يعدان رحمة إذا قيسا بما يصيب ضعفاء سواهم من الأمم التي فيها عاطفة الاعتماد على الذات مرتكزة على قوانين الحياة الحيوانية.

فالموحد المنزه لله لا يخاف ولا يهلع ولا يشح ولا يبخل، ولا يحسد ولا يحقد لكمال إيمانه بالله فيخلو فكره من الجولان في ذلك وما يلازمه، ومتى خلا فكر الإنسان من الرتوع في قدر هذه الأمور الخسيسة وتوابعها التي يقضى فيها ناقصو الإيمان أعمارهم الثمينة؛ جال بطبعه في عالم الحقائق وسلك من بلحاتها طرقاً سلكها قبله الأنبياء والصالحون، فيمر في أثناء سيره على عوالم الجمال والكمال بطريقة طبيعية لا صناعية، فتزداد علاقته بالعالم الروحاني متانة، ويزداد الاتصال بينه وبين حقائقه إحكاماً، فيرتقى فيه ارتقاء تدريجياً كما يرتقى جسمه في عالم المادة، فتكون روحه في عالم القدس تتحلى وتتمتع وجسمه في عالم الحس يكافح ويجاهد.

من هنا يرى القارئ الكريم أن (**لا إله إلا الله مفتاح السماوات والأرض**) كما جاء في الخبر النبوي، رزقنا الله التوحيد والتنزيه الخالصين لنسعد ونفوز بالحسنيين.

(رحم الله سعادة الأستاذ الكبير محمد فريد وجدي فقد كانت هذه الرائعة افتتاحية كتبها للعدد ١٥١-١٥٢ من مجلة "البريد الإسلامي" الصادر في ٧-٨/١٣٧٤هـ "٣-٤/١٩٥٥م").

***

الدعوة الإسلامية :

ذكرُ الله

بقلم : سعادة الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عوامل تقوية الإيمان وتقوية الصلة بالله ﷻ: ذكر الله تعالى، وما حصل الضعف في علاقاتنا بالله تعالى إلا من وراء إهمال ونسيان ذكر الله تعالى.

والأذكار الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة أهملها كثير من المسلمين، فلابد من التذكير بهذا الموضوع الذي نحتاجه جميعاً بلا استثناء.

📖 **فضل الذكر :**

• أمرنا الله بالإكثار من ذكره؛ فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اذْكُرُوْا اللهَ ذِكْراً كَثِيْراً * وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّأَصِيْلاً** ﴾ وأخبرنا بأن ذكره تعالى به تطمئنُّ القلوب؛ فقال تعالى: ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ** ﴾.

• وهكذا كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل حين كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها - رواه مسلم.

• وقال رسول الله ﷺ: "**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند ملكيكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب و الفضة، ومن أن تلقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "**ذكرُ اللهَ ﷻ**" (رواه أحمد وهو صحيح).

• وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً "سبق المفـرّدون ، قيـل : وما المفرّدون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات" .

• وفي صحيح مسلم : ٢١٨٧ ؛ قال رسـول الله ﷺ : "لا يقعـد قـوم في مجلس يذكـرون الله فيـه ، إلاّ حفّتـهُمُ الملائكـةُ ، وغشـيتَهُمُ الرحمـة ، ونزلت عليهم السكينةُ ، وذكرهم الله فيمن عنده" .

• روى الترمذيّ وابن ماجةُ وغيرهما عن عبد الله بن بسر أن رجـلاً قال : يا رسول الله ! إنّ إبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيامَ بكلّـها ، فأخبرني بما شئتَ أتشبّثُ به ، ولا تكثُر عليّ فأنسى ، قـال : "لا يـزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى" .

• وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي الكريم ﷺ قال : "مثـل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكرُ ربّه مثل الحيّ والميّت" .

• وعن معاذ بن جبل عن النبي الكريم ﷺ أنـه قـال : "ليـس تحسُّرُ أهل الجنّـة إلا على سـاعةٍ مـرّت بـهم لم يذكـروا الله ﷻ فيـها" (رواه الطبراني وغيره وهو في صحيح الجامع ٥٤٤٦) .

• عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ : "مـا جلـس قـوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على نبيّهم ، إلاّ كان عليهم تِرَةً ، فإن شـاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم" (رواه أحمد وغيره – صحيح الجامع ٥٦٠٧) .

• قال ابن القيّم في الوابـل الصيّـب مـن العمـل الطيّـب ص/٨٠ : "وقال أبو الدرداء ﷺ : لكل شئ جلاء و إن جـلاءَ القلـوب ذكـر الله ﷻ ، قال ابن القيّم : ولا ريب أن القلبَ يصدأ كما يصـدأ النحـاس ، فجلاؤه بالذكر ، وصدأ القلب بـأمرين : بالغفلـة والذنـب ، وجـلاؤه بشيئين : الاستغفار والذكر .

📖 فـوائد الذكـر :

ذكر ابن القيّم في الوابل الصيّب ٧٨ فائدة ، منها :

١- أنـه يطـرد الشـيطان ويقمعُـه ويكسـره ، ٢- أنـه يرضـي الرحمن ﷻ ، ٣- أنه يزيل الهمّ والغمّ عـن القلـب ، ٤- أنـه يجلـب للقلب الفرح والسرور ، ٥- أنه ينوّر الوجه والقلب ، ٦- أنه يورثُه المحبّة لله ﷻ ، ٧- أنه يورثـه المراقبـة والإنابـة والقـرب مـن الله ﷻ ، ٨- أنه يحطّ الخطايا ويذهبها ، ٩- أنه ينجي من عذاب الله تعالى كما في الحديث : "ما عمل آدميّ عملاً أنجى له من عذاب الله مـن ذكـر الله تعالى" (رواه أحمد وغيره وهو في صحيح الجامع ٥٦٤٤) ، ١٠- أنه سبب تـنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر ، ١١- أنـه سـبب اشتغال اللسان عن الغيبـة والنميمـة والكـذب والبـاطل ، ١٢- أنـه أيسر العبـادات وهـو مـن أجلّـها وأفضلـها ، ١٣- أن دوامَ ذكـر الله يوجب الأمانَ من نسيانه الـذي هـو سـبب الشـقاء للعبـد ، ١٤- أن مجالس الذكر هي رياض الجنّة في الدنيـا ، ومجـالس الملائكـة في الدنيـا وسبب المغفرة ، ففي الصحيحـين حديـث أبـي هريـرة ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : "إن لله ملائكـةً يطوفـون في الطُـرق يلتمسـون أهـل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ﷻ ، تنادوا : هلُمُّوا إلى حـاجتكم ، قال : فيحفُونُهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قـال : فيسـألهم ربـهم تعالى وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ... قال : يقول فأُشهدكم أنّي قـد غفرتُ لهم ، قال : فيقول ملك من الملائكة : فيهم فـلان ليـس منـهم ، إنّما جـاء لحاجـة ، قـال : هـم الجلسـاءُ لا يشـقى بـهم جليسُـهُم" ، ١٥- ومن فوائد الذكر : أنه من أكبر العونْ على طاعته ﷻ فإنه يحبّبُها إلى العبد ويُسهّلُها عليـه ، ١٦- أنّ ذكـر الله يُسـهّلُ الصعـبَ ويُيَسّـرُ العسيرَ ويُخفّف المشاق ، ١٧- أن ذكر الله يذهب عن القلـب مخاوفَـه كلّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، حتـى كـأن المخـاوفَ الـتي يجدها أمان له ، والغافل خائف مع أمنه ، ومن له أدنى حسّ قد جـرّب

هذا وهذا ، ١٨- أن ذكر الله يُعطى الذّاكرَ قوةً في جسمه : يقـول ابـن القيّم : "وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام في سننه وكلامـه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً ، فكـان يكتـب في اليـوم مـن التصنيـف مـا يكتبـه الناسخ في جمعةٍ وأكثر ، وقد شاهد العسكرُ من قوتـه في الحـرب أمـراً عظيماً" (الوابل الصيّب لابن القيّم) .

وقد علّمَ النبي الكريم ﷺ ابنته فاطمـة وعليـاً أن يسبّحا كلّ ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثـين ويكـبرا ثلاثاً وثلاثين ، لمّا سألته الخادمَ ، فعلمها ذلك وقال : "إنه خـير لكمـا مـن خادم" متفق عليه ، وهذا يدل على أنّ للذكر تأثيراً في جسم الذاكر .

١٩- أن كثرة ذكـر الله أمـان مـن النفـاق فـإن المنـافقين : ﴿ لاَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ إلاَّ قَلِيْلاً ﴾ (النساء/١٤٢) .

٢٠- أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضـر والسـفر ، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة .

٢١- الذاكـرون الله كثـيراً هـمْ أسـبق النـاس إلى الآخـرة وفي الحديث : "سبق المفرّدون .." مسلم ، وقد مرّ : ص/١ .

ورغم هذه الفوائد الكثيرة لذكر الله فإننا نجد كثيراً من النـاس قد أهملوا وقصّروا في ذلك فلماذا ؟

📖 **أسباب إهمال كثير من الناس الأذكار الشرعية :**

١- عدمُ معرفة فوائد الذكر ، فلابد مـن معرفـة هـذه الفوائـد وقد ذكر ابن القيّم منها قريباً من الثمانين فلتراجع في كتابـه (الوابـل الصيّب من العمل الطيّب) .

٢- الجهل بالأذكار الشـرعية ، والواجـب تعلُّمـها واسـتعمالها دائماً لترسخ في الذهن .

٣- عدمُ معرفة الأجر لهـذه الأذكـار مثـل قـول : لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ... في اليوم مائة مرة ، ومثل قول سيد الاستغفار في الصباح والمساء ... وهكذا ، وتلاوة القرآن وسبحان الله وبحمده .

٤- ومن الأسباب أيضاً : عدمُ معرفة معاني بعض الأذكار مثل معنى : "أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي .." في سـيد الاسـتغفار ، فلابد من معرفة معاني الأذكـار والرجـوع إلى كتـب شـروح الحديـث وكتب اللغة وكذلك كتاب تحفة الذاكرين للشوكاني .

٥- ومن أسباب الإهمال : البيئة السيئة والرفقة السيئة التي لا تعين على ذكر الله تعالى .

٦- ومن أسباب الإهمال : الاعتقاداتُ الخاطئـةُ مثـل الاعتقـاد بأن التلفّظ بالأذكار بدعة قياساً على النيّـة ، ومثـل الظـن بـأن الجـهر بالأذكار يخالف الحضارة والرقيّ .

٧- ومن الأسباب أيضاً : الانشغل في وقت الأذكـار الشـرعية بالأعمال الدنيوية أو النوم حتى يفوت وقت الأذكار .

٨- ومن الأسباب : التسويف ، فيؤجـل بعـض الأذكـار حتـى ينساها مثل الأذكار التي بعد الصلوات وأذكار النوم .

٩- ومن الأسباب : كثرة الأعمال والأشغل فلا يحضـر مجـالس العلم ولا يحافظ على الأذكار .

١٠- ومن أسباب التقصير والإهمال للأذكار الشـرعية : كـثرة الذنوب والمعاصي وعدم تذكر الموت والتوسّع في المباحات .

١١- ومـن أسـباب الإهمـال : مشـاهدةُ بعـض ذوي الأسـوة والقدوة على شئ من التفريـط والإهمـال مثـل عـدم ترديـده لـلأذان والانصراف بعد الصلاة مباشرة بدون أذكار دبر الصلوات وغيرها .

١٢- ومن الأسباب : عدم التربية على هـذه الأذكـار الشـرعية منذ الصّغَر .

١٣- ومن أسباب إهمال الأذكار الشرعية : عدم مراجعـة هـذه الأذكار ، فلابد من مراجعتها من الكتب ومع طلبة العلم .

📖 آداب وأحكام الذكر :

١- قال النووي رحمه الله : اعلم أنّ فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر الله تعالى ، كذا قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء ، وقـال عطاء رحمه الله : "مجالس الذكـر هـي مجـالس الحـلال والحـرام : كيـف تصلي وتصوم وتشتري وتبيع" . (الأذكار : ص/٧٠)

٢- قال النووي رحمه الله : "أجمـع العلمـاء علـى جـواز الذكـر بالقلب واللسـان للمحـدث والجنـب والحـائض والنفسـاء وذلـك في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصـلاة علـى النـبي والدعـاء وغير ذلك" .

٣- قال النووي : "ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقيب صـلاة ففاتتـه ، أن يتداركَـها ويـأتي بـها إذا تمكّن منها ولا يُهملها ، فقـد ثبـت في صحيـح مسـلم عـن عمـر بـن الخطاب قال : قال رسول الله : "من نام عن حزبه ، أو عـن شـئ منـه ، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليـل" (مسلم : رقم/٧٤٧) .

٤- يجب قطع الذكر في الحالات التالية :

أ- إذا سلّم عليه أحد فيجب عليه ردّ السلام .

ب- إذا عطس عنده عاطس فحمد الله ، فعليه أن يُشمّتَه .

ج- إذا بدأ الخطيب في خطبة الجمعة .

د- إذا سمع المؤذّن أجابه لأن إجابة المؤذن واجبة على الراجح .

هـ- إذا رأى منكراً أزاله أو رأى معروفاً أمر به لأنهما واجبان.

و- إذا غلبه النعاسُ فليرقد فلعلّه إذا ذكر دعا على نفسه .

٥- الأفضـل الاستسـرار بـالذكر إلا مـا ورد فيـه الجـهر مثـل التلبية والأذان والإقامة والتكبير في العيدين والتهنئة بالزواج وغيرها.

٦- الذكر الجماعي من البدع إلا ما ورد الدليل فيه .

وإليك هذه القاعدة المهمّة (كل ذكر مقيـد بزمـان أو مكـان أو كيفية أو عـدد لم يـرد بـه الشـرع فـهو بدعـة) لأن النصـوص العامـة والمطلقة لا يجوز تخصيصها ولا تقييدها .

📖 أنواع الذكر وأهمية الأذكار النبوية ومواضيعها :

قال ابن القيـم رحمـه الله في مـدارج السـالكين في آخـر منزلـة الذكر/٤٠ : وأنواع الذكر ثلاثة : ثناء ودعاء ورعاية .

• فأما ذكر الثناء : فنحو "سـبحان الله والحمـد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر" .

• وأما ذكر الدعاء : فنحو "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا * وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَـا * وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ" (الأعراف/٢٣) ، ونحـو : "يـا حـيّ يـا قيّوم برحمتكَ استغيث" ونحو ذلك .

• وأما ذكر الرعاية : فمثل قول الذاكر : الله معي ، الله نـاظر إليّ ، الله شاهدي ونحو ذلك مما يُستعمل لتقويـة الحضـور مـع الله ، وفيـه رعايـة لمصلحة القلب ، ولحفظ الأدب مع الله والتحرّز من الغفـلات ، وفيـها تعليم القلب مناجاةَ الربّ بأنواع المناجـاة بالسرّ والقلـب ... انتـهى كلامه .

📖 وسيلة الأذكار الشرعية :

روى أبو داؤد والترمذي عن يُسيرة رضي الله عنها : "أن النبي الكريم ﷺ أمرهنّ أن يُراعيَن بالتكبير والتقديس والتهليل ، وأن يعقدن بالأنامل ، فإنهنّ مسئولات مستنطقات" حديث حسن - أبو داؤد /١٥٠١ ، والترمذي /٣٦٥٣ ، وحسنه النوويّ في الأذكار .

وروى أبو داؤد والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : "رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه" صحيح - راجع صحيح الأذكار للنوويّ : ٨٧/١ .

وهناك حديث موضوع رواته مجهولون بل بعضهم متّهم وهو "نِعْمَ المذكرُ السُّبحةُ" وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم/٨٣ ، قال الشيخ الألباني : "ثمّ إن الحديث من حيث معناه باطل عندي لأمور :

الأول : أن السبحة بدعة لم تكن في عهد النبي الكريم ﷺ ، إنما حدثت بعده وإن لفظة السبحة مولّدة لا تعرفها العرب ، وقد روى ابن وضّاح القرطبيّ في البدع والنهي عنها : ص/١٢ عن الصلت بن بهرام قال : مرّ ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبّح به ، فقطعه وألقاه ، ثم مرّ برجل يسبح بحصى ، فضربه برجله ، ثم قال : لقد سبقتم ، ركبتم بدعة ظلماً !! ولقد غلبتم أصحاب محمد علماً .

الثاني : أنه مخالف لهديه ﷺ أنه كان يعقد التسبيح بيمينه .

ثم هو مخالف لأمره ﷺ لبعض النسوة "واعقدن بالأنامل فإنهنّ مسئولات ومستنطقات" ثم ذكر أن إبراهيم النخعي كان ينهى ابنته أن تعين النساء على فتل خيوط التسبيح التي يُسبّح بها - رواه ابن أبي شيبة بسند جيّد ، ثم قال : "ولو لم يكن في السبحة إلا سيئة

واحدة وهي أنها قضت على سنّة العد بالأصابع أو كادت مع اتفاقهم على أنها أفضل ، لكفى ، ثم ذكر بعض مفاسد هذه البدعة ثم قال : قال الشاعر :

وكلّ خير في اتّباع من سلف ... وكلّ شر في ابتداع من خلف

راجع الضعيفة ؛ رقم الحديث /٨٣

الأذكار التي لا ينبغي للعبد أن يخلّ بها - وهي قسمان :

أ- أذكار عامة غير مقيّدة بوقت .

ب- أذكار خاصة مقيّدة بوقت .

📖 **الأذكار العامة الغير مقيّدة بوقت** (ولا يجوز تقييدها إلا بدليل) : ومنها :

١- **"سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"** روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **"كلمتان خفيفتان على اللسان ؛ ثقيلتان في الميزان ؛ حبيبتان للرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم"** (فتح : ٥٣٧/١٣-١٩٩/٩ ، مسلم رقم/٢٦٩٤) .

٢- **"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"** :

وروى مسلم عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : **"أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا يضر بأيّهنّ بدأت"** (مسلم /٢١٣٧) .

٣- **"سبحان الله وبحمده"** : في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **"مَن قال : سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة ، حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"** (فتح : ٣٣٨/٦ ، مسلم/٢٦٩٣) .

وروى مسلم /٢٧٣١ عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : **"إنّ أحبّ الكلام إلى الله ، سبحان الله وبحمده"** .

٤- "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملـكُ ولـه الحمـد وهو على كل شئ قدير" :

في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "من قـال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمـد ، وهـو على كل شئ قدير في اليوم مائة مرة ، كانت ل عدل عشر رقـاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً مـن الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أحـد بـأفضل ممـا جـاء بـه إلا رجـل عمل أكثر منه" (فتح : ٣٣٨/٦-٢٠١/١١ ، مسلم رقم/٢٦٩٣) .

٥- "لا حـول ولا قـوة إلا بـالله" : في الصحيحـين عـن أبـي موسى الأشعري قال : قال لي النبي الكريم ﷺ : "ألا أدلّكَ علـى كنـز من كنوز الجنّة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله قال : قل : لا حول ولا قـوة إلا بالله" (فتح : ١٠٨/٨ ، مسلم/٢٧٠٤) .

٦- "الاستغفار" :

الآيات كثيرة منها قوله تعـالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِـكَ * وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَـارِ ﴾ (غـافر/٥٥) ، وفي صحيـح مسـلم قـال رسول الله ﷺ : "إنّه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة" رقم/٢٧٠٢ .

٧- "الصـلاة علـى النـبي الكريـم ﷺ" : وفي ذلـك آيـات وأحاديث كثيرة تدل على وجوبها .

٨- "قراءة القرآن ، والسلام ، والدعاء ، وجميع العبـادات غـير المقيّدة بوقت هي أذكار كذلك" .

📖 ب- أذكار خاصة مقيّدة بوقت :

منها أذكار طـرفي النـهار (الصبـاح والمسـاء) ، وهـذه تنبيـهات

أربعة بين يدي الموضوع :

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتيّب (أذكار طرفي النهار) ص/١٦ :

التنبيه الأول : هذه الأذكار في الصباح والمسـاء جميعـاً بألفاظـها إلا في ثمانية ألفاظ تحتها خطّ يكون موضـع (أصبـح : أمسـى) وموضـع (التذكير : التأنيث) وهكذا .

التنبيه الثـاني : بيّـن الله سـبحانه وتعـالى في القـرآن ، طـرف النهار محلّ أذكار الصباح والمساء في آيات منها : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوْبِ ﴾ فمحلّ ورد الصبـاح في الإبكـار هو الغدو بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ، ومحلّ ورد المساء في العشيّ هو الأصل بعد صلاة العصـر قبـل الغـروب ، والأمـر فيـهما واسع كمن عرض له شُغل .

التنبيه الثالث : هذه الأذكار بالنسبة للعدد علـى سـتّة أنـواع : منها ما يقال مرة واحدة ، ومنها ما يقال مرة أو مرتـين أو ثـلاث مـرات أو أربع مرات ، ومنها ما يقال ثلاث مرات ، ومنها سبع مرات ، ومنـها عشر مرات ، ومنها مائة مرة ، ثم قال : "ويتعيّـن الاقتصـار علـى هـذه الأعداد وإلاّ لما كان لتخصيصها وجهة" .

التنبيه الرابع : رتّب رسول الله ﷺ على عدد من هـذه الأذكـار مكاسب عظيمة من الفضل والوعـد بالجنّـة وغيرهـا وعليـه أنّ صفـة الكمل توظيف المسلم لجميع هذه الأذكار على نفسـه طـرفي النـهار ، وتحصل وظيفة الورد ببعضها ، فإذا ضاق وقت المسلم فليغتنمْ منها مـا تيسّر له ، وأمّا الإهمال لجميعها فهو تفريط ، والله أعلم .

قال ابن القيّم في الوابل الصيّب : "فصل في الأذكـار الموظّفـة التي لا ينبغي للعبد أن يخلّ بها لشدة الحاجة إليها وعظيـم الانتفـاع في

الآجل والعاجل بها، وفيه فصول، ثم قال: الفصل الأول في ذكر طرفي النهار: وهما بين الصبح وطلوع الشمس وما بين العصر والغروب، قل تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اذْكُرُوْا اللهَ ذِكْراً كَثِيْراً * وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّأَصِيْلاً ﴾ (الأحزاب/٤١-٤٢)، وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوْبِ ﴾ (ق/٣٩)، وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يُمسي، انتهى كلامه رحمه الله.

وهناك أذكار في مناسبات كثيرة منها: عند النوم والاستيقاظ، والأكل والشرب، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، وأذكار الآذان، والأذكار أثناء الصلاة وبعد الصلاة، والأذكار أثناء الكرب والحزن والهم، وأذكار تطرد الشيطان، وأذكار عند المصيبة والبلاء والفتن، وأذكار عند الأمراض، وأذكار عند زيارة المقابر والمرضى، وأذكار للصائم، وأذكار للمسافر، وغيرها.

وقد صنّف العلماء في الأذكار وأهم المراجع في ذلك:

* كتاب: (**الأذكار**) للنووي، وقد خرّج أحاديثه وحققه الشيخ سليم الهلالي في مجلدين وسمّاهما: (**صحيح الأذكار وضعيفه**) وهو من أوسع المراجع في الباب.

* وكتاب: (**الوابل الصيّب من العمل الطيّب**) لابن القيّم - تحقيق سليم الهلالي.

* وكتاب: (**تحفة الذاكرين**) للإمام الشوكاني.

📖 **تنبهات مهمّة على بعض الأذكار:**

١- في دعاء ركوب الدابة في السفر يقال دعاء الركوب، لما رواه مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره

خارجاً إلى سفر، كبّر ثلاثا؛ ثم قال: "سبحان الذي سخّر لنا هذا ... اللهم أنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى ومن العمل ما ترضى ... وإذا رجع قالهنّ وزاد فيهن آيبون تائبون، عابدون، لربّنا حامدون" (رواه مسلم "النووي: ٩/١١٠").

٢- كل ذكر ورد في مناسبة عن رسول الله ﷺ فلا يزاد عليه ولا ينقص ولا يُبدل حرف واحد لما ورد في حديث البراء في الصحيحين عند النوم: (اللهم أسلمت نفسي إليك ... آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت)؛ فقال الصحابي: "وبرسولك الذي أرسلت" فقال له رسول الله ﷺ: "وبنبيّك الذي أرسلت" (راجع فتح الباري: ١١/١٠٩، والنووي: ١٧/٣٢).

٣- في دعاء دخول المسجد ورد في صحيح مسلم حديث أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أحدكم إلى المسجد، فليسلّم على النبيّ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك" (مسلم - النووي: ٥/٢٢٤).

٤- إجابة المؤذن واجبة ثم الصلاة على رسول الله ثم الدعاء: وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ ... ثم سلوا لي الوسيلة" (مسلم: ٤/٨٥ النووي).

***

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

الخرطوم :
عاصمة إسلامية أخرى تحت النار

بقلم : معالي الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم
المستشار الثقافي لسمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة
(٤/الأخيرة)

٦- حاجة السودان إلى الوحدة والمساواة :

ومع اشتعال هذه النيران من داخل السودان وخارجه ، ومع توثُّب قوى الغدر والأذى للانقضاض عليه ، بتبرير دولي أو بدونه ، وقد شاهدت الدنيا مؤخراً كيف يُستهان بالمنظمة الدولية والقانون الدولي في تقرير الحرب على العراق ، وفي تجاهل حقوق الإنسان في جوانْتنامو وأبو غُريب ، ومع ما جربناه في العراق من أن عنجهية الصمود التي لا تستند إلى الحق والتأييد الشعبي والقانون لا تثبت ، بل تجعل ممن يصطنعونها أضحوكة مستهانة - مع كل ذلكم - نجد أن السودان مدعوّ إلى اتخاذ قرارات عاقلة وعادلة وعاجلة ، يشترك الجميع في صنعها .

إن السودان في حاجة إلى أن تتراص صفوفه بحيث ينتظمها خط موحد ، و لم لا ، و كل قياداتها من مشرب موحد في جوهره : فالمهدويون ، والمرْغنيّون ، والإنقاذيون ، بل وجمهور الشعب ، كلهم إسلاميون ، أليس الأولون هم أحفاد الإمام الناسك العالم المجاهد محمد أحمد المهدي ، وأليس الآخرون أحفاد القطب الزاهد صاحب تاج التفاسير في العلم ، ومؤسس المدرسة الوفاقية الاتحادية في السياسة السيد محمد عثمان الميرغني الكبير ، وأخيراً أليس الأخيرون هم مريدي الحافظ الفقيه والحقوقي الدولي الدكتور الترابي ، ثم أليس

الشعب السوداني كله ذلك الشعب المتصوف المتسامح المتآخي الذي يضع واحدهم كفه على كتف أخيه في اللقاء والأفراح والأحزان والشدائد علامة على الأخوة ؟ هؤلاء جميعاً مدعوون للتلاقي ، ويكفي أن يتذكروا أنهم منذ ١/يناير سنة ١٩٥٦م قد جربوا جميع الأساليب ما عدا الوحدة لمدة تكفي لحل الإشكالات ، ومن هذه التجارب الانقلابات العسكرية ، والشعبية ، والانتخابية ، والتفاوضية ، دون نجاح يذكر .

إن الوحدة السياسية فرض عين في هذه الظروف ، ومن خلالها تُواجه الأزمات ، ويتم الاتفاق على برامج شاملة للمساواة في المسئوليات السياسية ، وعدم التهميش لأي جهة ، والعدالة في اقتسام الثروة ، فبالعدالة يُستجلب الخير كله ، ويتفيّأ الناس جميعهم ثمراته ، عن اليمين والشمائل سجداً لله ، وبالوحدة تطبق الشورى بلا احتكار للقرار ، أو إنكار للآخر ، أو حَجْر على الآراء ، فالوحدة لا تنفي التعددية إذا تمت في إطارها ، والاختيار لا يكون صادقاً إلا إذا جُنِّب التزييف والترهيب ، وحقوق الإنسان مصونة وقد كرمه الله ، فلا يجوز حرمانه من أيّ منها ، والإصلاح الحقيقي هو ما يفرزه المجتمع طُهْرةً له من الخبائث ، وحماية له من العوالق والشوائب ، ولا يجوز تأخيره حتى يفرضه الغريب من الخارج ، وحَرِيٌّ بالوحدة الوطنية أن تنجح في تجنيد كل القوى والكفاءات والعلاقات وما أوتيه كل مشارك من قدرة على إخراج الدولة من مأزقها ، وأملنا أن تسفر لقاءات القاهرة ، بين ممثلي الحُكم والمعارضة ، عن اتفاق لتحقيق هذه الوحدة بصورة متكاملة .

ومسألة أخرى تتعلق بالنِّفط ، فقد قيل : إن وجوده في الجنوب وفي الغرب كان أحد الأسباب المبطنة للنزعة الاستقلالية ، وإن كان قد

توشّح بعبارة "اقتسام الثروة" ، والحقيقة هي أن بترول السودان أكبر مما يعرف كثير من الناس .

لقد بدأ اكتشافه في المناطق المائية لمدينة سواكن المطلة على البحر الأحمر شرقي السودان سنة ١٩٧٦م ، ولكن ما لبث أن عُثر عليه بكميات ملحوظة في الجنوب (مدن : بنتيو ، ومَلَكال ، وموجلاد) ، وتجري الآن أبحاث تشمل السودان كله شماله و وسطه وغربه ، فضلاً عن مناطق جديدة في جنوبه ، وبعد التعامل مع شركات أمريكية وكندية ، يتم الآن التعامل مع مجموعة شركات صينية وماليزية وخليجية وسودانية بتسمية (بتروادر) ، وكان الإنتاج أولاً في حدو ٣٥٠/ألف برميل يومياً ، ستتم زيادتها هذا العام إلى ٥٠٠/ألف ، وبهذا استحقت السودان مقعد مراقب في (الأوبك) ، وقد أعلنت وزارة الطاقة في السودان هذا العام ، أن مخزون البترول في عموم السودان هو ٣/بليون برميل ، المؤكد منها حتى الآن هو ٧٠٠/مليون برميل ، وإذا صحت هذه التقديرات ، والله المسئول أن تكون صحيحة وأن تكون بفضله أكثر ، فإن السودان سيكون قريباً من الدول الرئيسة المصدرة لهذه السلعة الهامة .

وبتوافر هذه المعلومات ، لابد أن نقول لأهل السودان : انتظروا الخير ، ولكن انتظروه عاماً شاملاً ، وليس مقصوراً على منطقة دون غيرها ، وقد كان النبي الكريم ﷺ يدعو لنزول المطر ؛ فيقول : "**اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً ، مَريعاً (أي مسبباً للخصوبة) ، غَدَقاً** (كثيراً) ، **مجلّلاً** (شاملاً) **عاماً ، طَبَقاً** (**يغطي الأرض**) ، **سَحّاً** (**يصب صباً**) **دائماً ، عاجلاً غير رائث** (**مترّيث**) ، **نافعاً غير ضار ، اللهم أنبتْ لنا الزرع ، وأدرَّ لنا الضرع** (**اجعل حليب الماشية مدراراً**) ،

واسقنا من بركات السماء .

فإذا جاء البترول بهذه الصفة الغزيرة العامة ، فإنه من المروءة ومن المصلحة للجميع ألا تستأثر به جهة ، وأن يعم النفع على جميع المناطق كما أن مصلحة البحث والإنتاج والتسويق تقتضي وحدة العمل ، فيكون البترول باسم السودان كله ولمصلحة السودان كله ، ومن الأمور التي لا أنساها ، وقد زرت السودان أكثر من مرة ، أنه في رمضان ، يخرج الناس وقت الإفطار من منازلهم ، ويبسط مجموعة الجيران سماطاً واحداً ، يصنع عليه كل فرد ما لديه من الطعام بلا تمييز ، فيكون الطعام للجميع ، وأملي أن تكون هذه العادة الرائعة باقية في الطعام وغيره ، وأن تكون ثروة الأرض من نفطها كثروتها من فومها وعدسها ، بلا تفريق ولا تخصيص .

وبقيت كلمة أذكّر بها إخواننا في السودان ؛ فأقول :

تذكروا أن السودان هو أكبر دولة إفريقية مساحة ، وقوته في تماسكه وتلاحُمه ، فلا تفتتوه بالتقسيم والانفصال ، ولا تكونوا كالذين ضُرب بهم المثل في التشتت ، فقيل : تفرقوا أيدي سبأ ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وتذكروا أن السودان هو بوابة العروبة والإسلام إلى القارة السمراء ، فلا توصدوا هذه البوابة ، ولا تسمحوا لمغيظ حاقد أن يُغريكم بوَصْدها ، فإن ذلك من مخططات المبغضين للإسلام ولغته .

وتذكروا أن السودان ليس غنياً بالنفط فقط ، فإنها ثروة مأمولة وقادمة إن شاء الله ، ولكنه غني قبل ذلك وبعده بخيرات حسان ، بادية للعيان ، أهمها التربة ، والماء ، والسواعد الفتية ، والأنعام التي ساقها الله فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، وكنا نحن الذين حضرنا

زمن الاستقلال نتفاءل بالخير الذي يمكن أن يُجنى من السودان ، الذي هو مزرعة العرب ومرعاهم ، وسلة خبزهم وإدام طعامهم ، لو أعين على ذلك بشئ من الاستثمارات التي تزخر بها خزائن البنوك ، بلا ضمان مؤكد ، ولا بركة محققة لأن أموال البنوك لا تربو عند الله .

وتذكروا أن السودان مستهدف ممن يدّعون محاربة الإرهاب ، وقد غزتكم قاذفات شرة في سنة ١٩٩٨م ، وزيارتها مَئِنَّة بزيادتها ، لو لا أن نكون من اليقظين ، والإرهاب شر على كل حال ، وأكثر منه شراً الادعاء بوجوده حيث لا يكون ، فلا تدعوا لقوى الشر أن تأتيكم من جديد بغتة بدعوى الإغاثة ، أو حماية حقوق الإنسان ، أو تقديم الخبرة ، أو إعطاء دروس في الديمقراطية .

وتذكروا أنكم رابضون على قدر مهم من منابع النيل ، ولا يمكن أن نفصل الأزرق والبيض عن بحر الغزال والعرب والجبل ، كما أن إخوانكم في شمال وادي النيل يطمئنون إلى شربة مائهم لأنها في حماكم وتُقدم إليهم بأيديكم .

وأخيراً ، فإن الخرطوم هي قَصَبة السودان و واجهته وإحدى عواصم الإسلام ، فإذا تعرضت للنار ولم نستطع بالتعاون والدعم أن نحميها ، فإن الشر لا قدر الله لن يتوقف ، بل سوف يتسلط على عاصمة أخرى من عواصم الإسلام ، نجاها الله وعصمها وصدّ كيد كل ذي كيْد إلى نحره .

***

والحمد لله رب العالمين

***

شهادة شاب في ألمانيا
في سبيل حماية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

بقلم : الأستاذ أحمد حمزة الغزالي
(إسلام آباد - باكستان)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن العالم الإسلامي قد شهد في تاريخه الطويل مظاهر عديدة متواصلة لعداء اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين ، فلم يخل عهد من الصراع بين الحق والباطل والخير والشر والعدل والظلم ، وهذا الصراع أخذ أشكالاً وألواناً عديدةً باختلاف المحيط والبيئة ، والجاهلية الحديثة في هذا العصر "المتقدم" "الراقي" "الديمقراطي" ، قد أسفرت عن طرق جديدة واكتشفت سبلاً لبقة للطعن في الإسلام ومقدساته وشعائره وتبرّر كلّ ذلك بمبادئ لامعة خادعة منها "حرية الرأي" و "استقلال الكلمة" و "الصحافة" إلخ ، وما رآه المسلمون في الأشهر الماضية إن دلّ على شئ فإنما يدل على استمرار هذه الظاهرة التاريخية بل يشير أكثر من ذلك إلى اشتداد في احتقاد اليهود والنصارى للمسلمين والاستهزاء بهم وبدينهم وبرسولهم ، فالعديد من الجرائد والمجلات الأوربية نشرت رسوماً مسيئةً للنبي الكريم ﷺ ، ولم يكن ذلك بالخطأ والنسيان بل إنّما تعمّدوا في رسمها ونشرها وبالغوا في ذلك وأصرّوا على حقهم في هذه التصرفات الخبيثة .

وهذا ليس غريباً على المسلمين فالله سبحانه وتعالى قد نبّهنا في كتابه العزيز أن اليهود والنصارى سوف يستمرّون في عداوتهم للمسلمين إلى قيام الساعة مهما تواضع المسلمون أمامهم وبالغوا في

إعزازهم وإكرامهم ؛ كما هو الحال الآن :

قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى * حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ .

وكان الغرب إثر هذه الإهانات ينتظر رد فعل المسلمين ، ماذا يا ترى يكون ردّهم ؟ هذا هو السؤال الذي كان يدور في أذهانهم ، ولكن الحمد لله ، كان الرد قوياً من قبل عامة المسلمين حيث قاطعوا مصنوعاتهم ومنتجاتهم وقاموا بمظاهرات واسعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي فأثبت جماهير العالم الإسلامي بذلك أنهم ما زالوا يقظين غير نائمين وأنهم ما زالوا يداً واحدةً على من سواهم .

فعرف الغرب أنه مهما انقلبت الأمور بتغيّر توازن القوى في العالم وبالرغم من تقلّب الذين كفروا في البلاد ، لا تزال قلوب المسلمين منوّرة بنور الإيمان وأفئدتهم حافلة بحبّ الله وحبّ رسوله وأنهم لا يسمحون لأحد بالاعتداء على حقوقهم وعلى دينهم وعلى حرماته ومقدساته .

وذلك لأن كرامة الرسول الكريم ﷺ وشرفه واحترامه فوق كل اعتبار عند المسلمين ، ولذلك كل من مسّ بكرامته ﷺ عامله المسلمون معاملة شديدة دائماً ، ابتداء بقتل كعب بن أشرف اليهودي الذي كان يطلق لسانه على شخصيته ﷺ فلم يلبث أتباع الرسول أن قتلوه بإذنه ﷺ وأسكتوا هذا اللسان البذيء .

وهكذا كان دأب المسلمين دائماً ، والعلماء المسلمون أجمعوا على عقوبة القتل لكل من ينتهك حرمة الرسول الكريم ﷺ حتى إنهم اتفقوا على أنه لا تقبل توبة المجرم الذي يرتكب هذه الجريمة ، وقد جاء بيان الموقف الإسلامي من هذه القضية واضحاً في كتاب الإمام ابن تيمية : **"الصارم المسلول على شاتم الرسول"** .

وفي شبه القارة الهندية حيث تعايش المسلمون مع الطوائف الوثنيين المشركين عبدة الأصنام لمدة ألف عام ، كان شعورهم الديني قوياً مما ساعدهم على الحفاظ على هويتهم وحريتهم الدينية بين الأغلبية الساحقة للهنادكة التي كانت تشكل ٨٠٪ تقريباً من مجموعة عدد السكان في شبه القارة على اختلاف فرقهم وطبقاتهم ، وقبل قدوم المسلمين إلى الهند في نهاية القرن الأول الهجري (لما فتح محمد ابن قاسم الثقفي ؛ السند في ٩٢هـ) كان الهنادكة يبتلعون كل من أتى إلى الهند من الخارج من آريين وغيرهم من الأعراق والأجناس البشرية كما ابتلعوا البوذيين الذين نشأوا في الهند منذ عهد ما قبل المسيح عليه السلام بقرون عديدة ، ولذلك أطلق بعض المؤرخين المسلمين على الهنادكة لقب "أكّال الأمم" .

ولكن الإسلام والمسلمين كانوا يمثّلون ظاهرة استثنائية في هذه العملية الاجتذابية ، فحافظوا على كيانهم المستقل وقاوموا كل المحاولات الوثنية للدمج ، والسبب الوحيد لهذا الصمود هو الإيمان القوي والشعور الجازم لدى المسلمين للمحافظة على شخصيتهم الحضارية المستقلة المتميزة داخل هذا المحيط الوثني الذي عاشوا فيه قروناً طوالاً ، ومع كون المسلمين حكاماً لهذه البلاد التي فتحوها عنوة لم يرغموا أهل هذه البلاد على اعتناق ديانتهم بل اكتفوا بالدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

وهذا الشعور الثقافي واليقظة الحضارية عند المسلمين كان يدين لجهود علماء الإسلام وقادة الفكر عند المسلمين الذين عكفوا على نشر الدعوة الإسلامية وكرّسوا حياتهم للمحافظة على المؤسسة التعليمية الإسلامية في كل مرحلة من مراحل التاريخ الهندي .

والعلماء وعامة المسلمين وقفوا دائماً صامدين لمواجهة كل التحديات والهجومات التي شنّها الطوائف الوثنيون ضدّ الإسلام وشعائره وشخصياته المحترمة ، وكلما حاول أحد المساس بشخصية الرسول الكريم ﷺ وقف المسلمون ، جماهيرهم وزعماؤهم أصاغرهم وأكابرهم ، ضد هذه الحملات مثل البنيان المرصوص ، فلهذه البطولات تاريخ طويل في الهند يعتز بها المسلمون ويعترف بها المؤرخون ، ففي عهد الاستعمار البريطاني لما لمس هؤلآء ضعفاً سياسياً في قوة المسلمين تجرّءوا على هذه الجريمة عدة مرات ، ولكن في كل مرة قام أحد المجاهدين الأبطال بإيقاف هذا العدوان وضحّى بنفسه ونفيسه في سبيل هذا الجهاد لحماية الدين وشعائره ولحماية كرامة الرسول وشخصيته ﷺ ومن هؤلآء الأبطال عبد القيوم وعلم الدين اللذان لقبهما محمد إقبال رحمه الله بالغازيين ، وقد شهد محمد إقبال رحمه الله جنازتهما بنفسه وأشاد بعملهما العظيم .

لقد تكرر أمامنا هذا التاريخ في الأيام الماضية عندما قام أحد أبطال هذه المنطقة (باكستان) بمحاولة قتل الصحفي الألماني الذي نشر رسوماً مسيئةً للنبي الكريم ﷺ ، وهكذا سجّل هذا الشاب الباسل اسمه في قائمة أولئك الأبطال الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل حب الرسول الحبيب ﷺ ، فلعلّه سمع من والده العظيم قول الرسول الكريم ﷺ : **"لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل"** ، وذكره جيداً حينما خرج يعانق المنية في سبيل حبّه ﷺ .

ولكن يا للأسف ! فقد قلّ من معاشر المسلمين من عرف شيئاً عن قصة هذا البطل العظيم الذي حاول قتل Henryk Broder مدير الجريدة الألمانية Die Welte ، والذي استشهد نتيجة تعذيب الشرطة

الألمانية في شهر مارس الماضي ، وهذا الشاب الباكستاني البطل الباسل هو محمد عامر عبد الرحمن شيمه بن محمد نذير شيمه ، رحمه الله رحمة واسعة .

ولد هذا البطل العظيم في محافظة من محافظات إقليم "بنجاب" في باكستان ، ثم انتقل والده إلى مدينة "راولبندي" ، حيث كان يعمل مدرساً في إحدى المدارس الثانوية ، ونشأ عامر في بيئة صالحة وتلقى من والديه تربية دينية راسخة مما جعل قلبه مملوءاً بحبّ الله تعالى وبحبّ الرسول الكريم ﷺ منذ الصغر ، فترعرع في هذا الجوّ الحافل بالمشاعر الدينية وبحبّ الله ورسوله ، وهكذا مرّت الأيام والليالي والأعوام والسنون إلى أن حصل عامر على شهادة ماجستير (في الهندسة) وانتقل إلى ألمانيا للحصول على شهادة الدكتوراه منذ سنتين ، وخلال قيامه هناك أنجز كل المتطلبات الأكاديمية في مدة قصيرة ولما كان على وشك الحصول على درجة الدكتوراه قدّر الله له شرفاً أعلى رتبة وأعظم قدراً من آلاف الشهادات العلمية .

كيف وجد عامر سبيله إلى هذا الشرف العظيم الذي تمنّاه السلف الصالح من هذه الأمة والذي هو أمل يراود كلّ من يحمل في قلبه حرارة الإيمان ؟ فالمعلوم أنه نشرت طائفة من الجرائد الأوربية رسوماً قبيحةً مسيئةً للنبي الكريم ﷺ ، و من هذه الجرائد جريدة Die Welte الألمانية ، وعندما رأى عامر هذه الرسوم لم يستطع أن يملك نفسه وتحاشا من أن يسيطر على أحاسيسه الدينية ومشاعره الإسلامية وغضبه واستنكاره الشديد لهذه الجريمة ، وخرج ذات يوم من منزله ونظر إلى الدنيا وما فيها نظرة المودع وأخذ ينطلق بخطوات حازمة نحو مكتب هذا الصحفي المجرم الذي نال من كرامة الرسول العربي

المصطفى ﷺ ، و واصل عامر سيره إلى الشهادة في سبيل كرامة الرسول ولأجل كتابة صفحة مشرقة من العزّ والمجد في تاريخ هذه الأمة المرحومة ، واصل عامر خطواته المباركة حتى وصل إلى مكتب هذه الجريدة مركز الجريمة الشنيعة ودخل غرفة المدير وبعد حديث معه حينما تبيّن له أنه هو المجرم وأنه مصرّ على جريمته ما لبث أن أخذ سكيناً من جيبه وحمل على هذا المجرم وأصابه بجروح شديدة ولكنه لم ينجح في قتله في الحال بسبب هجوم الحرّاس عليه ، وبطبيعة الحال سجنته الشرطة الألمانية على الفور بتهمة الإرهاب والقتل .

وعندما أحضر عامر أمام المحكمة الألمانية اعترف بما فعل بكل جرأة وهمّة قائلاً :

"إنني أعترف بكل اعتزاز واقتناع بأنني حاولت قتل Henryk Broder مدير الجريدة الألمانية Die Welte لأنه نشر في جريدته رسوماً مسيئةً للنبي الكريم ﷺ ، وإذا ما أتيحت لي فرصة أخرى في الحياة سوف أقتل كل من يطلق لسانه على النبي الكريم ﷺ أو يسيئ إلى شخصيته عليه الصلاة والسلام ، وليعلم الجميع أن كل من ينطق بالشهادتين ، ويعيش في هذه الدنيا يشاركني هذا الشعور ؛ وهذا العزم" !

لم تصدر المحكمة الألمانية قراراً رسمياً بعد هذا الاعتراف الجرئ و واصلوا تحقيقاتهم وأثناء ذلك عذّبوا هذا المجاهد الشاب أشد العذاب بكل ما يملكون من أنواع الإيذاء والتعذيب مما فيه التعذيب الجسدي والنفسي مستخدمين فيه أحدث الوسائل والتقنيات .

وذات ليلة وهو يواجه هذا العذاب الشديد بأقصى همّته ، انتقل محمد عامر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ، ونال الشهادة في سبيل

حماية حرمة الرسول الكريم ﷺ ، وأعلنت وكالة الأنباء الألمانية نبأ وفاته ، وكان عمره ٢٨ سنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم ارحمه رحمة واسعة فإن هذا الشاب اليافع أدّى فريضة الكفاية عن هذه الأمة .

وعندما وصل هذا الخبر إلى بيته في باكستان كان الردّ غريباً من قبل أهله خاصة من والديه اللذين كانا يمضيان آخر أيام حياتهما وكانا ينتظران بشوق لعودة ابنهما حيث إنه كان هو الابن الوحيد لهما ، ولكنهما حينما سمعا خبر شهادة ابنهما الوحيد لم يحزنا قط ولم يفزعا ، بل ملأهما السرور والشكر على الشرف الذي ناله ابنهما وفرحا فرحاً شديداً وهكذا كان تجاوب أخواته الثلاث ، وبدأ الناس يأتون إلى هذا البيت المبارك من كل فج عميق متجهين إلى مسكن هذا البطل العظيم الذي ضحّى بنفسه لحب الرسول الكريم ﷺ ، تدفق الزوّار إلى دار عامر العامرة بالإيمان يحملون الأزهار والأنوار والشموع التي تهدى بمناسبة الأفراح وذلك ليهنئوا أهله وأبويه على حصول ابنهم على مكانة عظيمة عند الله سبحانه وعلى ما حصل والداه من ثواب جزيل وأجر عظيم ، وهل من شرف أعلى من شرف الشهادة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولرفع شأن رسول الله ؟

وعندما وصلت جثة هذا الشهيد إلى باكستان بعد عدة أسابيع من وفاته ، نقلت إلى قريته التي تقع في إقليم "بنجاب" ، وحضر جنازته أكثر من مأتي ألف شخص تمتلئ قلوبهم جميعاً بحب المصطفى عليه الصلاة والسلام .

أ ليس هذا من عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى أن حضر هذا العدد الكبير من المصلّين عليه في قرية صغيرة غير معروفة لا يزداد عدد سكانها على عشرة آلاف شخص وفي نهار يوم من أيام الصيف

ارتفعت درجة حرارته إلى خمس وأربعين درجة ؟ ويبـدو كـأن الملائكـة حضروا هذا المشهد العظيم .

لقد حـدث مـا حـدث ! وهكـذا أراد الله وشـاء وقـدّر ! وهـذا الشاب الباكستاني سجلّ اسمه في التاريخ بأروع عنـوان ! ، ولكـن مـع الأسف الشديد بالرغم من وجـود جميـع وسـائل الاتصـالات الحديثـة وكلّ وسائل الإعلام المتوافـرة لـدى المسـلمين ، لم يتحـرك علـى هـذا الحادث ساكن ، فضلاً عن أن يتكلم أحد في أيـة قنـاة خـارج باكسـتان عن هذا البطل العظيم الشـهيد ولم ينشـر هـذا الخـبر في جريـدة مـن جرائد العالم في أية دولة مسلمة سواء كانت عربية أم غير عربية ، فهل هذا يدل على أن اليهود والنصارى أخذوا ينجحون في تفكيـك وحـدة العالم الإسلامي ؟ أم هذا يعني أن المسلمين لا يـهتمون بقضايـا العـالم الإسلامي ؟ وعلى أية حال وبدون شك يدل هذا الإهمال على ضعـف الشعور الإسلامي عند أولئك المسلمين الذين يديرون قنوات الإعـلام ويبنون الرأي العام في بلاد الإسلام ، فيا أسفى على ما فرّطوا في شـأن هذا البطل الذي أضاء وجه الأمة وكشف عن شـخصيتها الغمّـة ، إلا أننا نرجو أن هذا الإهمال لم يكن عمداً ولا كان نابعاً مـن قلـة حبـهم للرسول الكريم ﷺ ، ندعو الله سبحانه وتعـالى أن يوقظنـا جميعـاً مـن سباتنا وأن يوفقنا للشعور بمسئولياتنا الدينية والقيام بها حتى نحيـى في هذه الدنيا حياة إسلامية مطمئنة بالعزّ والكرامة .

***

(ملحوظة) نشكر الأخ العزيز أحمد حمزة الغزالي على تزويده مجلتنا هـذا النبأ السارّ ، فجزاه الله تعالى كل خير عن الأمة الإسلامية جمعاء .

***

نظرة الإسلام إلى الفقر والفقير

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

كما أن الله تبارك وتعالى عندما يفقر من يفقره ويغني من يغنيـه فهذا لحكمة أخرى مـن وراء ذلـك ، ولكنـها لمصلحـة الجماعـة ككـل حيث تصلح بها أحوال الدنيا وتعمر بـها الكـون وهـي حكمـة إيجاد تفـاوت في أرزاق النـاس نـاتج عـن اختـلاف قدراتـهم ومواهبـهم وإمكانياتهم العقلية والجسمية والذي يـؤدي بـدوره إلى تسـخير هـذا لذاك وتسخير ذاك لهذا وتعاونهم معاً ، وبالتالي تأخذ الحياة دورتها قـال تعالى : ﴿ نَحْنُ قسمنا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَـتَهُمْ فِـي الْحَيَاةِ الدُّنْيَـا * وَرَفَعْنَـا بَعْضَـهُمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِّيَتَّخِـذَ بَعْضَـهُمْ بَعْضـاً سُـخْرِيًّا ﴾ (الزخرف/٣٢) فطبيعة الحياة البشـرية قائمـة علـى التفـاوت في مواهـب الأفراد والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل والتفاوت فيما مدى إتقان هذا العمل وهذا التفاوت ضروري لتنوع الأدوار المطلوبـة للخلافة في هذه الأرض فلو لم نكن متفاوتين متفاضلين أرزاقاً وأقـداراً ومختلفين خبرة وتخصصاً لما قام مجتمـع ولا اسـتقامت حيـاة ، ولـو كـان الناس نسخاً مكررةً مـا أمكـن أن تقـوم الحيـاة في هـذه الأرض بـهذه الصورة ولبقيت أعمال كثيرة جداً لا تجد لها مقابلاً مـن الكفايـات ولا تجد من يقوم بـها والـذي خلـق الحيـاة وأراد لهـا البقـاء والنمـو خلـق الكفايات والاسـتعدادات متفاوتـة تفـاوت الأدوار المطلـوب أداؤهـا ، وعـن هـذا التفـاوت في الأدوار تتفـاوت الأرزاق ... (٢١) ، وهـذا التفاوت بغية التعاون بـين أفـراد المجتمـع وأن يكـون الكـل خلايـا في

نسيج كامل متكامل لا للتغابن والتشتت ، وللتراحم لا للتظالم بين سادتهم ومسوديهم بين فقرائهم وأغنيائهم بين حكامهم ومحكوميهم ، فلا يتخذ السادة من قيام هذا التفاوت ذريعة إلى إعنات المسودين ولا يتخذ الحكام منه ذريعة لهضم المحكومين ... (٢٢) ، ولا يتخذه الأغنياء ركيزة ليزدادوا غنى على حساب زيادة فقر الفقراء ، فالأغنياء إذا لم يؤدوا حق الله في أموالهم يكونون سبباً في فقر الفقراء ، أو كما قال علي بن أبي طالب : إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه ... (٢٣) أو كما قال كرم الله وجهه : ما جاع فقير إلا بما منعه غني ، وقال : ما رأيت نعمه موفورة إلا إلى جانبها حق مضيع ، كما أن الله سبحانه وتعالى حينما يمسك الرزق على أحد لابتلائه إنما يتم بتقصير الآخرين في أداء حق المال الذي فرض عليهم ، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفجر؛ آية/١٥-٢٠ : ﴿ فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ * فَيَقُوْلُ : رَبِّيْ أَكْرَمَنْ * وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ * فَيَقُوْلُ : رَبِّيْ أَهَانَنْ * كَلاَّ بَلْ لاَّ تُكْرِمُوْنَ الْيَتِيْمَ * وَلاَ تَحَاضُّوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِ * وَتَأْكُلُوْنَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّوْنَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾ أي أن الإكرام والانعام من الله ابتلاء للعبد بمعنى أنه وكله على المال وجعله مستخلفاً فيه ليبتليه ، بينما التضيق في الرزق على الآخر وإن كان بإرادة الله بابتلائه إلا أنه في الحقيقة ناتج من تقصير الذين استخلفهم الله على المال في أداء الحق المعلوم للسائل والمحروم ، فنفى أن يكون ذلك الشر منسوباً لله حيث قال : ﴿ كَلاَّ بَلْ لاَّ تُكْرِمُوْنَ الْيَتِيْمَ ﴾ فجعل سلوك الأغنياء والمستخلفين على المال المخالف لتشريع الله المالي السبب في فقر الفقراء وجوع الجائعين ... (٢٤) .

ولكي يدخل كلامنا هذا مجال التطبيق العملي الواقعي سوف نقارن بين مستوى الدخل السنوي والمستوى المعيشي في الدول النامية والدول المتقدمة لنرى الهوة الشاسعة بينهما ففي تقرير للبنك الدولي صدر في واشنطن يوم ١٦/يوليو عام ١٩٩٠م أشار إلى أن ١،١ مليار نسمة يعيشون تحت حزام الفقر الذي حدده التقرير بمتوسط دخل سنوي للفرد ٣٧٠/دولار ، وهم يمثلون ربع سكان العالم ، وأكثر من ٣٣٪ من سكان العالم النامي ، وأشار التقرير إلى أن ٦٣٠/مليون نسمة يصل متوسط دخل الفرد السنوي ، منهم إلى أقل من ٢٧٠/دولار ، ويمثلون ١٨٪ من إجمالي سكان العالم ... (٢٥) ، ومتوسط الدخل هذا لا يمنع من وجود أعداد غفيرة من البشر لا تحصل عليه بدليل حدوث مجاعات تقضي على حياة الملايين ، فعلى الرغم من أن إنتاج الغذاء في العالم يزيد بمقدار ١٠٪ عن حاجات السكان كلهم إلا أن هناك حوالي ٢٠/مليون شخص يموتون سنوياً من الجوع ؛ كما تشير منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة "الفاو" وأن ١٤/مليوناً من هؤلاء الضحايا من الأطفال بمعدل ٤٠/ألف طفل يومياً أي طفل كل ثانيتين وهو ما يتجاوز مجمع الضحايا إذا ألقيت كل ٣/أيام قنبلة ذرية في حجم قنبلة هيروشيما على منطقة مزدحمة بالسكان ... (٢٦) ، وقد حذر تقرير للأمم المتحدة من التزايد الضخم في مخزون الحرمان البشري في العالم ، وقال التقرير : إن هناك ألف مليون إنسان يعيشون في فقر مدقع وبدون مياه شرب نظيفة و ٩٠٠/مليون نسمة يعانون من الأمية ؛ كما أشار التقرير إلى أن هناك ١٠٠/مليون إنسان من المشردين و ١٥٠/مليون طفل دون سن الخامسة يعانون سوء التغذية ... (٢٧) ، وقد وصل الجوع ببعض سكان إفريقيا إلى درجة الوهن والضعف والعجز عن الحركة ، وكانت رسالتهم إلى العالم إذا أردتم أن تكرمونا حقاً فلحفروا

لنا قبوراً لأننا لا نقوى على حفرها ... (٢٨) ، وعلى الجانب الآخر جاء في التقرير الإحصائي للبنك الدولي لعام ١٩٨٩-١٩٩٠م أن متوسط الدخل السنوي للفرد في الدول النامية بلغ عام ١٩٨٨م ما يساوي متوسط دخل الفرد في الدول الصناعية في أسبوعين أو أكثر قليلاً ... (٢٩) أي أن متوسط الدخل السنوي للفرد في الدول المتقدمة يعادل متوسط الدخل السنوي لـ ٢٤/فرداً من الدول النامية ، والولايات المتحدة تعتبر أن الشخص الذي تجاوزت ثروته مليوناً ونصف المليون دولار في عداد المليونيرات ، و وفق هذا التصنيف فإنه يوجد في الولايات المتحدة مليونير من بين كل ٢٥٠/شخص أمريكي ، أي أنه يوجد بالولايات المتحدة عدده مئات من الألوف من السكان ثروة الواحد منهم مليون ونصف المليون من الدولارات ، كما يوجد في الولايات المتحدة اليوم أكثر من ٧٠/ألف أمريكي تقدر ثروة الواحد منهم بأكثر من ١٠/ملايين دولار ، كما يوجد ٢٠/ألف مليونير في ألمانيا الغربية تزيد ثروة كل واحد منهم عن ٢٠/مليون مارك ، وفي بريطانيا ١٨/ألف مليونير تزيد ثروة الواحد منهم على ٢٠/مليون جنيه إسترليني ، وتتفوق اليابان وألمانيا الغربية وكندا على بريطانيا في عدد المليونيرات كماً وعدداً ... (٣٠) كما تبلغ ثروة أحد أثرياء العالم ما يفوق ميزانية دولة بأكملها وأن الأثرياء السبعة في العالم تبلغ ثرواتهم ٨٥،٦/بليون دولار وهو رقم يفوق ميزانية عدة دول مجتمعه ... (٣١) وهم الياباني يوشيكي تسوتسومي تقدر ثروته بـ ١٦/بليون دولار ، وهو أغنى رجل في العالم يليه يكيتشيرو موري الياباني ثروته ١٥/بليون دولار يليه عائلة سام والتون بأمريكا ثروتها ١٣/بليون دولار ، ثم عائلة بونت بأمريكا ثروتها ١٠,٧/بليون دولار ، ثم هانس وفاد روزينغ بالسويد ثروته ١٠,٦/بليون دولار ، ثم كيتارو واتيان باليابان

وثروته ١٠,٢/بليون دولار ، ثم بول والبرت ورالف ريتشمان بكندا وثروته ١٠,١/بليون دولار ... (٣١) ، أما أغنى سيدات العالم الملكة اليزابيث الثانية وتقدر ثروتها بـ ٦.٦/مليارات جنيه إسترليني (١٣,٢/مليار دولار تقريباً) تليها جوهانا كواندت وثروتها مليارين و ٦٠٠/مليون جنيه إسترليني ، ثم إيمليدا ماركوس ثروتها ١,٥/مليار جنيه إسترليني ، ثم كوكس تشامبرز ثروتها ١,٤/مليار ، ثم باربرا كوكس أنتوني ١,٤/مليار ، ثم ليليان تينكورت ١,٣/مليار ، ثم جاكلين مارس فوغل ١,٢/مليار ، ثم إليس والتون مليار واحد ، ثم هايدي هورتون ٩٥٠/مليون ، ثم غريث شيكداتر ٩٠٠/مليون ... (٣٢) .

هذا لنقارن بين من دخله أقل من ٣٠٠/دولار في العام أو قد لا يجد ما يقيم به حياته وبين من دخله ١٦/بليون دولار ليتأكد لنا صدق علي بن أبي طالب ﷺ عندما قال : ما رأيت نعمة موفورة إلا إلى جانبها حق مضيع أو كما قال : ما جاع فقير إلا بما منعه غني ، وسنرى خلال بحثنا هذا كم من ملايين تنفق هباء منثوراً ، هذا على مستوى الأفراد ، أما على مستوى الدول فبينما تزخر البلدان المتقدمة بنحو ٧٠٪ من ثروات العالم وعدد سكانها لا يتجاوز ربع سكان العالم نجد أن باقي الثروة العالمية يتقاسمه ثلاثة أرباع سكان المعمورة ... (٣٣) .

كما أن نصيب سكان الدول النامية من الدخل العالمي ٦,٥٪ مع أنهم يمثلون ما يقرب من ثلاثة أرباع سكان العالم كما أن العالم الثالث لا يحصل من الإنتاج الصناعي العالمي إلا على ما يقارب ٧٪ على الرغم أنه يملك ٨٠٪ من المواد الأولية ، إن كمية الأسمدة المستخدمة في مروج الولايات المتحدة وملاعب الجولف فيها ومساحة مقابرها تعادل ما تستخدمه الهند لإنتاج الغذاء ، تستهلك أجهزة التكييف في الولايات المتحدة من الكهرباء ما يزيد على مجموع

استهلاك جمهورية الصين على الرغم من أن سكان الأخيرة يزيدون على المليار نسمة، تستهلك السويد من الكهرباء أكثر من الهند مع أن عدد سكان السويد لا يزيد عن أحد عشر مليوناً ... (٣٤) إذن فهناك فئة تنعم بالإسراف في كل ما لذ وطاب من صنوف الأطعمة والأشربة وغيرها من متع الحياة وقد تموت بالتخمة من فعل الشبع الزائد وتتورم، حتى قططها بكثرة ما التهمت مما ألقى إليها وفاضت بها براميل المخلفات والقمامة من طعام دسم، وهي السبب في وجود فئة أخرى كان الله في عونها تموت جوعاً لأنها لا تجد ما تسد به الرمق وتتساقط هياكلها العظمية أو جلودها اللاصقة بالعظم من فعل الإعياء والجوع لتلقى حتفها المحتوم.

---

(٢١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ص/٣١٨٦-٣١٨٧ .

(٢٢) دين ودولة _ أحمد محمد جمال : ص/٣٤٠ .

(٢٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام - يوسف القرضاوي : ص/١١٦-١١٧ .

(٢٤) القضاء والقدر في الإسلام - فاروق دسوقي : ج/١ ، ص/٤٢٨ .

(٢٥) مجلة اليسار، العدد السادس، أغسطس عام ١٩٩٠م الموافق محرم ١٤١١هـ .

(٢٦) جريدة الأهرام، الاثنين ١٩٩٠/٥/٢٨م، الموافق ٤/ذو القعدة عام ١٤١٠هـ .

(٢٧) الأهرام ١٩٩٠/٥/٢٥م . (٢٨) مجلة رسالة الجهاد، العدد/٨٧، مايو عام ١٩٩٠م .

(٢٩) الأهرام ١٩٩٠/٤/٢٩م . (٣٠) الأهرام ١٩٩٠/٥/١٠م .

(٣١) جريدة الحياة، العدد/١٠٠٢٦، الأربعاء ١٩٩٠/٧/١١م الموافق ١٩/ذي الحجة عام ١٤١٠هـ .

(٣٢) مجلة العالم، العدد ٣٦٦، ١٩٩١/٢/١٦م الموافق ١/شعبان ١٤١١هـ .

(٣٣) مجلة الحوادث، العدد ١٧٤٩، ١٩٩٠/٥/١١م : ص/٣٧ .

(٣٤) مجلة رسالة الجهاد، العدد ٩٠، يوليو عام ١٩٩٠م .

البيروني و منهجه في البحث التاريخي

بقلم : الدكتور سيد رضوان علي الندوي

من المعلوم أن أبا الريحان البيروني كان أحد عباقرة العلم في كثير من العلوم البحتة والتطبيقية كالفلك والرياضيات والجغرافيا والطبيعة وغيرها، ولكن هل كان البيروني مؤرخاً؛ وهل له منهج تاريخي ؟ حتى نستفيد منه في إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية، هذا ما سأحاول أن أجيب عليه في هذا البحث المتواضع.

الحقيقة أن شهرته كعالم فلكي رياضي طبيعي طغت على شهرته كمؤرخ، ومن ثم خلت الكتب التي تتحدث عن المؤرخين عن ذكره قديماً و حديثاً (١)، و لم يدرك أهميته كمؤرخ إلا القلائل من الناس، مرجع ذلك في اعتقادي أمران اثنان : الفكرة الشائعة عن التاريخ بأنه أخبار الدول والملوك والفتوح أو التاريخ السياسي بتعبير آخر، الأمر الثاني عدم وصول بعض كتبه التاريخية إلينا وعدم اشتهار ما وصل منها وطبع في أوربا في أواخر القرن التاسع عشر إلا لدى الخاصة مثل كتابيه العظيمين : "الآثار الباقية عن القرون الخالية" و "تحقيق ما للهند من مقولة"، ثم وصفها من قبل بعض الباحثين وصفاً ضيقاً أي في نطاق التقاويم وذكر الأعياد والعقائد والعلوم.

---

(١) انظر مثلاً : الضوء اللامع - للسخاوي، ودراسات عن المؤرخين العرب - لمارجوليث ؛ ترجمة د/حسين نصار، ومصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه للسيدة إسماعيل كاشف، ومنهج البحث التاريخي - للدكتور حسن عثمان.

ولكن إذ سلمنا بأن مدلول التاريخ ليس مجرد تاريخ سياسي أو أخبار السلاطين والملوك وإنجازاتهم بل هو تتبع لحياة الشعوب في نشاطاتها المختلفة الفكرية والعملية من عادات وتقاليد، وثقافة وعلم، وديانة وشريعة فإن المرء الذي ينظر في هذين الكتابين المذكورين لا يجد مناصاً من القول بأن البيروني كان مؤرخاً، بل مؤرخاً ناقداً نافذ البصيرة، نهج منهجاً جديداً في البحث التاريخي في عصره، بل بعد عصره إلى ظهور ابن خلدون.

هذا وقد ألف البيروني كتباً تاريخيةً أخرى بالمعنى المتعارف المشهور منها مثل: **"أخبار القرامطة والمبيضة"** (٢) و **"المسامرة في أخبار خوارزم"** (٣) واللذان لم يعثر عليهما حتى الآن حسب معرفتي، كما ألف كتاباً بعنوان: **"تنقيح التواريخ"** والذي ضاع فيما ضاع من كتبه الكثيرة أصولاً ومسودات حسب تصريحه في فهرست كتبه الذي ضمه سخاو إلى مقدمته للآثار الباقية، وذلك بسبب تنقلاته الكثيرة، والتقلبات السياسية التي عانى منها البيروني، ولعل هذا الأخير كان من أهم كتبه في موضوع النقد التاريخي كما يظهر من اسمه.

ولعل المستشرق فرانز روزنتال كان، بعد سخاو، أول من استأنس ببعض آرائه في كتابه علم التاريخ عند المسلمين، كما كان الدكتور علي الشابي أول باحث عربي كتب عن المنهج التاريخي عند البيروني في أطروحته للدكتوراه بعنوان: **"الأدب الفارسي في العهد الغزنوي"** (٤).

(٢) البيروني: الآثار الباقية: ص/٢١١-٢١٣.

(٣) ذكره ياقوت في معجم الأدباء: ٦/٣١١، واقتبس منه أبو الفضل البيهقي في تاريخه عن الدولة الغزنوية المعروف بتاريخ البيهقي.

(٤) طبع في تونس؛ عام ١٩٦٥م.

إذن فالبيروني بجانب كونه عالماً فذاً في العلوم البحتة والتطبيقية مؤرخ و صاحب منهج في البحث التاريخي كما سنتبينه عما قليل.

عصره وحياته الشخصية:

عاش البيروني العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الرابع الهجري والعقود الأربعة الأولى من القرن الخامس الهجري، وهو عصر التفكك السياسي واضمحلال القوة السياسية المركزية للخلافة العباسية في بغداد، ولكنه بالرغم من ذلك كانت فترة ازدهار علمي حيث أن الدويلات التي قامت في أطراف الخلافة العباسية شرقاً وغرباً ظلت تحمل تلك الرسالة الحضارية العلمية التي كانت من مميزات الخلافة العباسية منذ نشأتها، بل شهدت هذه الفترة ظهور قوة سياسية جديدة، في منطقة جديدة في الشرق أي الدولة الغزنوية وفتوحها في داخل الهند، واحتك البيروني بأمراء بعض هذه الدول الصغيرة والكبيرة وشاهد التقلبات السياسية، وتعرض لحياة التشرد وعدم الاستقرار أحياناً، ولكنه ظل يؤدي رسالته العلمية بهدوء وثبات، وتفان في العلم غريب.

وشهدت هذه الفترة ظهور ثلاثة من عباقرة العلم بالنسبة لتاريخ العلم العالمي ابن سينا وابن الهيثم والبيروني، ولكن سمي هذا العصر بعصر البيروني من قبل مؤرخ العلوم الشهير جورج سارتون (٥)، لأنه أكبر شخصية عاشت في ذلك الوقت.

ولد أبو الريحان محمد أحمد البيروني في ٣٦٢هـ (٩٧٣م) خارج مدينة خوارزم (المعروفة الآن بخيوة) في ضاحية من ضواحيها، ومن ثم

(٥) المدخل إلى تاريخ العلم بالإنجليزية.

اشتهر بالبيروني وبيرون معناه بالفارسية (خارج) ، ولا صحة لما جاء في بعض كتب كطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة أن بيرون هذه مدينة في السند ، ويقرر البحث أنها قرية كاث في إقليم خوارزم ، وتقديراً لمكانة البيروني العلمية أطلقت حكومة جمهورية أزبكستان السوفياتية اسم مدينة البيروني على تلك القرية (٦) .

وتوفي البيروني في مدينة غزنة (٧) في رجب ٤٤٠هـ (٨) بعد حياة دامت سبعاً وسبعين سنة ، وتنقسم حياة البيروني إلى فترتين رئيسيتين : الفترة الأولى من ولادته حتى ٤٠٨هـ في إقليم خوارزم وجرجان ، والفترة الثانية من انتقاله إلى غزنة في صحبة السلطان محمود الغزنوي في ٤٠٨هـ إلى حين وفاته بها ، وهكذا فنشأة البيروني كانت في خوارزم وليست في غزنة كما ذكر فيليب حتى في كتابه : (تاريخ العرب المطول : ص/٤٦٠) ، ولا يعرف عن نشأته وأساتذته إلا قليلاً جداً ، ويتأكد من بعض أبياته الشعرية أنه كان من أسرة عادية جداً ، ولعله حرم من والديه في فترة مبكرة من حياته ، وكان مائلاً إلى العلم ، محباً للتعلم منذ الصغر كما حدث بنفسه وتعلم اللغة اليونانية من عالم يوناني جاء إلى بلاده بطريقة مباشرة أي بالسؤال عن أسماء النباتات والأشياء التي كان يحضرها له (٩) ، كما تعلم العلوم

---

(٦) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، تأليف حكمت نجيب عبد الرحمن (الموصل ١٩٧٧م) : ص/٢٢٠ .

(٧) واخطأ فدري طوقان في ذكر وفاته بمدينة خوارزم في كتابه العلوم عند العرب في ترجمة البيروني : ص/١٧٣ .

(٨) حسب رواية تلميذه وخادمه الخاص أبي الفضل السرخسي ؛ صاحب كتاب جوامع التاريخ ، سخاو في مقدمة الآثار .

(٩) علي أحمد الشحات : أبو الريحان البيروني : ص/٧٣ .

الكثيرة من أبي نصر منصور بن علي بن عراق واعترف بذلك في إحدى قصائده :

و آل عراق قد غزوني بدرهم
ومنصور منهم قد تولى غراسيا (١٠)

وعرف من أساتذته أيضاً عبد الصمد بن عبد الصمد الأول حسب كلام ياقوت في معجم الأدباء : ج/٦ ، ص/٣١١ .

وكان يتمتع بذكاء فطري خارق وموهبة عظيمة في الفهم فنبغ مبكراً ، وبدأ يقوم بأعمال الرصد في موطنه الأول وعمره ١٨ / سنة ، ثم في جرجانية (أوركانج حالياً) ، ونتيجة لهذا النبوغ المبكر حرص أمراء تلك المنطقة دعوتهم إليه فعاش في كنف إمارة آل عراق أولاً ثم بعد سقوطها انتقل إلى إمارة آل مأمون بخوارزم أيضاً ، حيث ظل يتابع أعماله وتجاربه في الرصد ، وفي حوالي ٣٨٩ انتقل إلى مدينة جرجان بدعوة من أميرها العالم الأديب شمس المعالي قابوس بن وشمكير حيث ألف أول كتبه : **"الآثار الباقية"** في ٣٩٠هـ باسمه : ولكنه بسبب شراسة أخلاق الأمير قابوس وخلافه معه عاد في ٤٠٠هـ إلى خوارزم ، وبعد مدة من حياة التشرد ، حيث أكرمه أمير آل مأمون أبو العباس المأمون بن المأمون غاية إكرام وجعله مستشاراً له ، ثم بعد سقوط هذه الإمارة أثر هجوم السلطان محمود الغزنوي وحرصه على جمع العلماء في بلاطه انتقل إلى غزنة في ٤٠٨هـ .

وفي هذه الفترة الثانية ذهب البيروني عدة مرات إلى الهند في صحبة السلطان محمود وبقي بها طويلاً (١١) ، وجال في كثير من

---

(١٠) ياقوت : معجم الأدباء : ج/٦ ، ص/٣١٣ .

(١١) ولكن ليس أربعين سنة كما تذكر كثير من الكتب الحديثة والقديمة ، وهو خطأ ظاهر من ناحية التاريخ .

بقاعها البنجاب والسند وكشمير وحتى نيبال، حيث تعلم اللغة السنسكريتية العلمية وعدداً من اللغات واللهجات المحلية ودرس علوم الهند ومجتمعها، وعلم الهنود الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان الأخرى وكان من نتاج رحلاته الكتاب المعروف: **"تحقيق ما للهند من مقولة"**.

وبعد وفاة السلطان محمود استقر في ٤٣١هـ في غزنة يؤلف ويقوم بتجاربه في الرصد وصنع بعض الآلات العلمية، ومنها آلة لمعرفة القبلة وأخرى لمعرفة ضغط الماء والهواء، وذلك في عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي وابنه مودود، وألف باسمهما البيروني بعض كتبه كالقانون المسعودي في الفلك، والجماهير في معرفة الجواهر باسم السلطان مودود.

وتحدث البيروني عن اتصالاته بالأمراء المذكورين في قصيدة ذكرها ياقوت قطعة منها في الإرشاد، وطبيعة علاقاتهم معه (١٢)، وأولها:

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة
على رتب فيها علوت الكراسيا

وقبل الانتقال إلى الكلام عن مكانته العلمية ومنهجه في البحث التاريخي ينبغي الوقوف عند نقطتين من سيرة البيروني، وهما معتقداته الدينية ونظرته القومية حيث إن بعض العلماء من الغرب و الشرق وقفوا موقفاً معادياً من البيروني حولهما، و تجنوا على الحقيقة، واتهموا البيروني جزافاً اتهامات باطلة، وتخص بالذكر منهما المستشرق الروسي المشهور بارثولد في كتابه: **"تاريخ الحضارة**

(١٢) الجزء السادس: ص/٣١٢.

الإسلامية" حيث اتهم البيروني بعصبيته للقومية الإيرانية وميله إلى المانوية، واتباعه المذهب الشيعي، وتابعه في ذلك فيليب حتى في تاريخه في القول بتشيعه، وزاد أنه كان يميل إلى اللاأدرية وافتتن بفلسفة الهنود أو الهندوس على الأصح.

ويستغرب المرء من هذه الاتهامات الباطلة إزاء أقواله المبثوثة في مختلف كتبه التي تدل على تدينه الصحيح واتباعه للمذهب السني بل وانتقاده لمذهب ماني الإيراني، وفلسفة الهند، وحبه للثقافة العربية، وغلوه في هذا الحب إلى حد إسراف، ومرجع ذلك كما يبدو عدم إمعان النظر في مؤلفاته أو محاولة خلق الانشقاق بين الصفوف الإسلامية وبذر بذور الكراهية والبغضاء بين المسلمين وهو خط دأب على السير فيه كثير من المستشرقين وأتباعهم.

و نرد هذه الاتهامات من كلام البيروني نفسه، يقول في كتاب: **"الصيدنة في الطب"** بصراحة لا غموض فيها: **"ديننا والدولة العربية توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع وخاصة الجيل والديلم في البأس الدولة جلابيب العجمة، فلم تتفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين ويقومون خلف الإمام صفاً صفّاً، ويخطب لهم في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم"** (١٣).

فهل بعد هذا يصح اتهامه بالمانوية والعصبية الإيرانية؟

ثم هو القائل في كلام منطقي عند المقارنة بين اللغة العربية

(١٣) نقله علي أحمد الشحات في كتابه أبو ريحان البيروني: ص/٧٤.

بقاعها البنجاب والسند وكشمير وحتى نيبال، حيث تعلم اللغة السنسكريتية العلمية وعدداً من اللغات واللهجات المحلية ودرس علوم الهند ومجتمعها، وعلم الهنود الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان الأخرى وكان من نتاج رحلاته الكتاب المعروف: **"تحقيق ما للهند من مقولة"**.

وبعد وفاة السلطان محمود استقر في ٤٣١هـ في غزنة يؤلف ويقوم بتجاربه في الرصد وصنع بعض الآلات العلمية، ومنها آلة لمعرفة القبلة وأخرى لمعرفة ضغط الماء والهواء، وذلك في عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي وابنه مودود، وألف باسمهما البيروني بعض كتبه كالقانون المسعودي في الفلك، والجماهير في معرفة الجواهر باسم السلطان مودود.

وتحدث البيروني عن اتصالاته بالأمراء المذكورين في قصيدة ذكرها ياقوت قطعة منها في الإرشاد، وطبيعة علاقاتهم معه (١٢)، وأولها:

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة
على رتب فيها علوت الكراسيا

وقبل الانتقال إلى الكلام عن مكانته العلمية ومنهجه في البحث التاريخي ينبغي الوقوف عند نقطتين من سيرة البيروني، وهما معتقداته الدينية ونظرته القومية حيث إن بعض العلماء من الغرب و الشرق وقفوا موقفاً معادياً من البيروني حولهما، و تجنوا على الحقيقة، واتهموا البيروني جزافاً اتهامات بلطلة، وتخص بالذكر منهما المستشرق الروسي المشهور بارثولد في كتابه: **"تاريخ الحضارة**

(١٢) الجزء السادس: ص/٣٦٢.

الإسلامية" حيث اتهم البيروني بعصبيته للقومية الإيرانية وميله إلى المانوية، واتباعه المذهب الشيعي، وتابعه في ذلك فيليب حتى في تاريخه في القول بتشيعه، وزاد أنه كان يميل إلى اللاأدرية وافتتن بفلسفة الهنود أو الهندوس على الأصح.

ويستغرب المرء من هذه الاتهامات الباطلة إزاء أقواله المبثوثة في مختلف كتبه التي تدل على تدينه الصحيح واتباعه للمذهب السني بل وانتقاده لمذهب ماني الإيراني، وفلسفة الهند، وحبه للثقافة العربية، وغلوه في هذا الحب إلى حد إسراف، ومرجع ذلك كما يبدو عدم إمعان النظر في مؤلفاته أو محاولة خلق الانشقاق بين الصفوف الإسلامية وبذر بذور الكراهية والبغضاء بين المسلمين وهو خط دأب على السير فيه كثير من المستشرقين وأتباعهم.

و نرد هذه الاتهامات من كلام البيروني نفسه، يقول في كتاب: **"الصيدنة في الطب"** بصراحة لا غموض فيها: **"ديننا والدولة العربية توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع وخاصة الجيل والديلم في البأس الدولة جلابيب العجمة، فلم تتفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين ويقومون خلف الإمام صفاً صفاً، ويخطب لهم في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم"** (١٣).

فهل بعد هذا يصح اتهامه بالمانوية والعصبية الإيرانية؟

ثم هو القائل في كلام منطقي عند المقارنة بين اللغة العربية

(١٣) نقله علي أحمد الشحات في كتابه أبو ريحان البيروني: ص/٧٤.

والفارسية ثم في اندفاع وتحمس بالغ للعربية : **"فأنا في كل واحدة دخيل ، ولها متكلف ، والهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارس قد ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية"** (١٤) .

صحيح أنه انتقد قتبة بن مسلم في كتابه : **"الآثار الباقية"** لتلميره مدينة خوارزم وإحراق الكتب فيها ، ولكنه في هذا الانتقاد كان مدفوعاً بحبه للعمران وللعلم أياً كان وأينما كان ، ولعل بارتولد انخدع ببحث البيروني عن كتاب ماني : **"سفر الأسرار"** أكثر من أربعين عاماً ، ولكن كان ذلك تلبية لرغبة الجامحة في الاطلاع على تراث الأمم الأجنبية من الفرس واليهود واليونان والهنود حسب منهجه في دراساته المقارنة في التاريخ والأديان والأفكار كأي باحث حق نزيه لكي يصل من تلك المقارنة إلى درجة الإيقان الكامل في معتقداته وأفكاره عن اقتناع عقلي منطقي ، الأمر الذي يتجلى بوضوح في كتابيه الجليلين : **"الآثار الباقية"** ، و **"كتاب الهند"** في مختلف فصولهما .

ولقد حكم بعد حصوله على كتاب : **"سفر الأسرار"** لما في نتيجة بحثه المتواصل له وقراءته إياه قائلاً و وجدت الله صادقاً في قوله : ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوْراً * فَمَا لَهُ مِنْ نُّوْرٍ** ﴾ (النور/٤٠) ، **"ثم اختصرت ما في تلك الأسرار من الهذيان البحث والهجر المحض ليطالعها مأووف بأفتى ، وسيجعل الشفاء منها كفعلي"** (١٥) .

---

(١٤) كراتشوفسكي : الأدب الجغرافي : ص/٢٥١ ، وانظر أيضاً علي الشابي ، المصدر المذكور : ص/٣٣٨ .

(١٥) مقدمة الآثار الباقية ، رسالة في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي : ص/٣ بالرقم اللاتيني .

وتبرأ من أبي بكر الرازي المغرم بكتب ماني والمنكر للنبوات رغم احترامه لعلمه (١٦) ، وانتقده انتقاداً مراً .

هذا يلاحظ من قرأ كتب البيروني أنه يكثر من إيراد الآيات القرآنية فيها حتى في الكتب التي لا يتصور المرء فيها وجود مثل هذه الآيات ككتاب : **"الجماهير في معرفة الجواهر"** ، و **"الآثار الباقية"** ، ولا يتسع المجال لضرب الأمثلة هنا .

وقل في الجماهير : **"وفي أخبار الفرس التي لا تخلو من زيادتهم تفخم أمر الأكاسرة وتفضيل ملكهم والمملكة التي لهم"** ، ولا يقول هذا الكلام من يتعصب لقوميته ثم هو الذي ألف بحثاً بعنوان : **"رأي العرب في مراتب العدد أفضل من رأي الهند"** فهل يقال عن مثل هذا أنه افتتن بالعلوم الهندية .

أما بالنسبة لاتهامه بالتشيع فيبطل هذا الاتهام من أقوال البيروني في **"الآثار الباقية"** حيث رفض رد الشمس لسيدنا علي حتى يصلي صلاة العصر بقواه : ومثل ذلك في ردها يحكيه بُله الشيعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١٧) ، وكذلك أنكر على الشيعة في موضع آخر من هذا الكتاب دعواهم في معرفة الهلال بطريقة حسابية خاصة سرية قائلاً : **"وعلى ما ذكرنا عملت الفرقة المدعية لبواطن الأمور المنتحلة لتشيع الآل زعمت أنه من أسرار النبوة"** ، ومثل هذا الكلام لا يصدر عن رجل شيعي ، قل هذا الكلام وهو في بلاط قابوس بن وشمكير في جرجان ، وأما بعد انتقاله إلى غزنة إلى بلاط السلطان محمود الغزنوي المتعصب لأهل السنة فلا يتصور أن يصحبه في مجاله وأسفاره رجل شيعي .

(يتبع)

---

(١٦) نفس المصدر في نفس الصفحة .

(١٧) نفس المصدر السابق : ص/٢٤٨ .

الإمام أبو القاسم القشيري
حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات

(٦/الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد عارف الدين الفاروقي
(جامعة حيدرآباد - الهند)

تفسير لطائف الإشارات ومنهج القشيري فيه :

بدأ الإمام القشيري في تأليف هذا التفسير في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وكان مصيب الرأي وناضج العقل بتقدم السن والتفسير الذي سماه : "التيسير" ألف في سنة ٤١٠هـ وهو التفسير بالمأثور ، والفترة ما بين التفسيرين هي أربع وعشرين سنة ولا شك أن الإمام لا يزال يترقى إلى أعلى المنازل في العلوم الظاهرة والباطنة في تلك المدة حتى أصبح متقناً في التفسير متمكناً في أسرار كتاب أسرار الله العزيز .

تبين من عنوانه غاية المؤلف وهي أنه أراد أن يفسر القرآن تفسيراً إشارياً يتضمن اللطائف والدقائق التي تلوح لقلوب عباد الله المخلصين من إشارات النص القرآني فالمؤلف يحدثنا في مقدمة تفسيره حامداً ومصلياً :

"... أكرم الأصفياء من عبيده بفهم ما أودعه من لطائف أسراره ، واستخلصهم لاستبصار ما ضمنه من دقيق إشاراته وخفي رموزه بما لوح لأسرارهم من مكنونات تعريفه ، فوقفوا بما خصوا به من أنوار الغيب على ما ستر من أغيارهم ، ثم نطقوا على مراتب أنوارهم وأقدارهم ، والحق سبحانه وتعالى ملهمهم بما به منه بكرمه ، فهم به عنه ناطقون وعن لطائف الغيب مخبرون وبه إليه يشيرون وعنه له يفصحون ، والحكم لله في جميع ما يأتون ويدرون" .

"وكتابنا هذا يشتمل على طريق من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة ، أما من مباني من مقولهم أو قضايا أصولهم سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملل" (١٠٩) .

كانت تفاسير الصوفية من قبله منحصرة على آيات مختارات ولا تتجاوز عنها والفضل يرجع إلى الإمام القشيري لأنه أول من فسر جميع القرآن في ضوء الإشارات .

مصادر تفسيره :

قال سيدنا علي ﷺ انقطع الوحي إلا فهم أعطيه رجل في القرآن أو كما قال (١١٠) ، وهذا هو الفهم كالمصدر الأول والآخر في تفسير الإمام إلا الأحاديث والأخبار استشهد به خلال المباحث ، يذكر القشيري عدة الاعتبارات لآية بغير أن يسمي اسم القائل ، والغالب أنه نقل هذه الاعتبارات من أئمة الصوفية وترك ذكر أسماءهم خشية اهتمام الإسناد أو محسبة أمراً لا طائل فيه للسالك ، أما المعاني والمفاهيم التي سمع من شيخه أبي علي الدقاق نقل مع اسمه ، وهذا أيضاً لا يتجاوز عن موضوعين أو ثلاثة ، فالاعتبارات العديدة لآية هي في الحقيقة تشير إلى مدارج السالكين فمنهم العابد والزاهد والمريد والعارف ، فكل يحدث عن درجته .

وما أراد الأستاذ في تفسيره ذكر المصادر في الحديث ، فمن عادته أن يسوق الحديث مسبوقاً بالعبارة (قال النبي الكريم ﷺ) وقد سعيت لتخريج الأحاديث الواردة في هذا التفسير بقدر ما استطعت .

وما عدا ذلك قد أورد الإمام أبياتاً كثيرةً لإثارة الشوق واستدعاء الذوق .

تميزات تفسيره :

١- إنه كتب معاني وتفسير بسم الله الرحمن الرحيم في بداية

كل سورة الذي يناسب السورة وذكر سببه هكذا :

"فلما أعاد الله تعالى هذه الآية أعني بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وثبت أنها منها، أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكررة وإشارات غير معادة" (١١١) .

واختار هذه الخطة صاحب كشف الأسرار (١١٢) ، والشيخ مخدوم علي المهائمي (١١٣) كل منهما فسر البسملة في بداية كل سورة .

٢- يوازن بين الأمم السالفة وبين الأمة المحمدية يوضح شرف هذه الأمة في مواضع كثيرة انظر الموازنة بين (سكينة) أمتين :

"إن الله تعالى جعل سكينة بني إسرائيل في التابوت الذي فيه رصاص الألواح وعصا موسى عليه السلام وأثار صاحب نبوتهم وجعل سكينة هذه الأمة في قلوبهم ؛ فقال : ﴿ هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ فِيْ قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ ثم إن التابوت كان يتداوله الأيدي من الأعداء وغيرهم ، فمرة كان يدفن ومرة من كان يغلب عليه فيحمله وأما قلوب المؤمنين فحاله بين أربابها ولم يستودعها ملكاً ولا أسماء ولا هؤلآء ولا شخصاً ولا مكاناً ، وقال ﷺ : قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يعني في قبضة الحق سبحانه وتحت تقلبه وتصريفه والمراد منه القدرة ، فشتان بين أمة وأمة ، أمة سكينتهم فيما الأعداء تسلط وأمة سكينتهم فيما ليس لمخلوق عليه سلطان (١١٤) .

وهذه الموازنة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين نبينا ﷺ في ضوء الآية التالية : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِيْ * فَإِنَّهُ مِنِّيْ * وَمَنْ عَصَانِيْ * فَإِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾ .

"قل : ومن عصاني ولم يقل من عصاك وإن كان من عصاه فقد عصى الله ، ولكن اللفظ ومن عصاني فإنك غفور ، إنما طلب لهم الرحمة فيما كان نصيب نفسه من ترك حقه وعصيانهم فلم ينتصر

لنفسه بل قابلهم بالرحمة ، ويقال : إن قول نبينا ﷺ في هذا الباب في معنى العفو أتم حيث قال جزماً سؤالاً حتماً اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وإبراهيم عرض ، وقال : إنك غفور رحيم" (١١٥) يبين الإمام تشريف هذه الأمة على سائر الأمم :

"لما كان المصطفى ﷺ أشرف الأنبياء ، كان خدمه عليه السلام أشرف الأمم ولما كانوا أشوق الأمم إليه كانت أعمارهم أقصر الأعمار ، وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض ، وما حصلت الأرض خيريتهم بكثرة صلواتهم وعبادتهم ولكن بزيادة إقباله عليهم وتخصيصه إياهم ، ولقد طال وقوف المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الأذن بالدخول تقدم المتأخرون" .

وكم من باسطين إلى وصلنا
اكفهم لم ينالوا نصيبا (١١٦)

ثم يذكر في موضع آخر الفرق بين الحبيب والخليل ؛ إنما قال الخليل : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِيْ * فَإِنَّهُ مِنِّيْ ﴾ ، وقال الحبيب : ﴿ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (١١٧) .

٣- ومن مميزاته "الاستشهاد بقواعد اللغة" يستدل الإمام على اللطائف الباطنية بقواعد النحو والتعليل وفي ذلك نرى جودة فكره ودقة نظره ، يقول مثلاً :

"بسم الله الرحمن الرحيم الباء مكسورة في نفسها وعملها الخفض ، لأنها من الحروف الجارة للأسماء ، وهي صغيرة القامة في الخط ونقطها الذي به يتميز عن غيرها واحد وهو نهاية القلة ثم موضع هذه النقطة أسفل الحرف ، فهي تشير إلى التواضع والخضوع بكل وجه والسين من بسم الله حرف ساكن فالإشارة من الباء أن لا تذر من الخضوع والتذلل والجهد والتوسل ميسوراً ثم تسكن منتظراً

للتقدير" (١١٨).

وقد يبحث الإمام أحياناً بحث اللغة والنحو على أنه ليس من أهدافه، انظر تعليل كلمة (اللهم) و (يا أيها الذين)، اللهم: "معناه يا الله، والميم في آخر اللهم بدل عن حرف النداء وهو (يا)" (١١٩).

(يا أيها الذين) يا حرف النداء (أي) اسم المنادي، و (ها) للتنبيه، والذين متواصلة المنادي (١٢٠) وهكذا يتحقق في اسم (الله).

"اختلف أهل التحقيق في اسم الله، هل هو مشتق من معنى أم لا، فكثير منهم قالوا: إنه ليس بمشتق من معنى وهو له سبحانه على جهة الاختصاص يجري في نفسه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره فإذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم يذهب فهو مهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه" (١٢١).

🕮 مذهب الإمام القشيري في باب العقائد:

كما ذكرنا في الصفحات السابقة أن عقائد الأستاذ القشيري كان موافقاً لأهل السنة، ولا نجد في تأليفاته شيئاً يعارض عن مرامه، ومن المتأخرين ملا علي القاري يكتب في رسالته الوحدة الوجود "إن الصوفية المجمع عليهم من المتقدمين كالمحاسبي وداؤد الطائي والجنيد والمعروف الكرخي، وكذا من المتأخرين كصاحب التعرف وعوارف المعارف والرسالة القشيرية ونحو ذلك ليس في كلامهم ما يعترض على مرامهم بل جميعها مطابقة بظواهر الكتاب والسنة" (١٢٢)، فقال الأستاذ القشيري في دقائق التوحيد:

"والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله قائمة به فهو مجرعة ومنشئة ومبقية، وليس بأحد ذرة ولا شظية ولا سنية ولا شمة من الإيجاد والإبداع" (١٢٣).

ثم يبين أنواع الشرك ويرمز إلى مسألة التقدير في ذيل هذه

الآية: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ ... إلخ، "إن العوام طولبوا بترك الشرك الجلي والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي، فمن توسل إليه بعمله ويظنه منه أو توهم أن أحكامه سبحانه معلومة بحركاته وسكناته أو رأى خلقاً أو لاحظ نفساً فظنه الشرك عند أهل الحقائق والله لا يغفر أن يشرك به، وكذلك من توهم أن مخالفاته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم" (١٢٤).

كذلك يقول: "إن أصل كل الشرك الدعوى" (١٢٥).

ومن ذلك عقيدته في صفات الله:

"وذات الحق لا يتصف بقبول حدثان وصفات ذاته لا يقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات تقدس الحق عن كل ضد ومد و وصل وفصل وجمع وفرق" (١٢٦).

🕮 تحريض القشيري على العزيمة:

يحرض القشيري السالك على أن يسلك مسلك العزيمة ويترك الرخصة في سائر الأعمال لأنه قد أراد القرب والوصل إلى الله فلذلك هو يفسر كل آيات الأحكام تفسيراً بديعاً، اقرأ مثلاً تفسير الآية: ﴿ لَنْ تَنَالُوْا الْبِرَّ * حَتَّى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ ﴾ ترى أنه يهيج قلبك.

"لما كان وجود البر معلماً ذكر فيه (من) التي هي للتبعيض؛ فقال: (مما تُحبون) فمن أراد البر فلينفق مما يحبه أي البعض، ومن أراد البار فلينفق جميع ما يحبه ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من الحق سبحانه وتعالى، ومن كان مربوطاً بحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربه، ويقال: إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البار وأنت تؤثر عليه حظوظك ﴿ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ * فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيْمٌ ﴾ منهم من ينفق على ملاحظة الجزء والعوض، ومنهم من ينفق على مراقبة دفع البلاء المحن، ومنهم من ينفق اكتفاء بعلمه قال

قائلهم :

و يهتـــز للمعروف في طلب العلى
لـيذكر يوماً عند سلمى شمائله (١٢٧)

وهذا الإنفاق ليس بمنحصر على المعاني المذكورة بل فيه وسعة للمزيد ؛ فيقول القشيري في تفسير : ﴿ وَيُنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أمرهم بإنفاق اللسان على ذكره وإنفاق البدن على طاعته ، والوقت على شكره ، والقلب على عرفانه ، والروح على حبه ، والسر على مشاهدته ، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، إنما يطالبك بأن يحضر الباب وتقف بالبساط بالشاهد الذي أثبتك معه ، يقول العبد المسكين لو كان لي نفس أطوع من هذا لأتيت بها ، ولو كان لي قلب أشد وفاء من هذا لجئت به ، وكذلك روحي وسري يفديك بالروح صب لو يكون له أعز من روحه شئ فلا كب به : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيْهِ * وَلاَ خِلاَلٌ ﴾ (١٢٨) .

📖 **حقيقة الألفاظ المتداولة في الشريعة :**

قال القشيري في رسالته : "كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، الشريعة قيام بما أمر والحقيقة لما قضى وقدر وأخفى وأظهر" (١٢٩) فللألفاظ المتداولة في الشرعية مفاهيم عديدة في الطريقة فنذكر الآن شيئاً منها في عبارة الإمام القشيري بغير شرح مزيد .

حقيقة الإيمان : حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق ، وموجب الأمرين التوفيق ، فالتصديق بالعقل والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد ومراعاة الحد (١٣٠) ، ثم يقول في موضع آخر : "تحقق القلب بما أخبر من الغيب" (١٣١) .

📖 **الإحسان :**

أ- الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فتكون مستسلماً بظاهرك ،

مشاهداً بسرائرك ، في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف و وجود (١٣٢) .

ب- الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهو المشاهدة ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو المراقبة (١٣٣) .

📖 **العبادة :**

أ- العبادة نزهة القاصدين ومستروح المريدين ومربع الإنس للمحبين ومرتع البهجة للعارفين ، بها قرة أعينهم وفيها مسرة قلوبهم ومنها راحة أرواحهم وإليه أشار ﷺ بقوله : أرحنا يا بلال (١٣٤) .

ب- العبادة موافقة الأمر وهي استفراغ الطاقة في مطالبات الغيب ويدخل فيه التوحيد بالقلب والتجريد بالسر والتفريد بالقصد والخضوع بالنفس والاستسلام للحكم (١٣٥) .

📖 **حقيقة العبودية :**

أ- حقيقة العبودية الصدق مع الحق والرفق مع (١٣٦) الخلق .

ب- العبودية معانقة الأمر ومفارقة الزجر (١٣٧) .

📖 **التقوى :**

التقوى جماع الطاعات وأوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير وأول الأغيار لك نفسك (١٣٨) .

📖 **حق التقوى :**

حق التقوى رفض العصيان ونفي النسيان وصون العهود وحفظ الحدود وشهود الإلهية وانسلاخ عن أحكام البشرية ، والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم ، واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بشئ من طاعتك دون صرف كرمه والتحقيق بأنه لا يقبل أحداً بعلة ولا يرد أحداً بعلة (١٣٩) .

📖 **المتقي :**

المتقي من اتقى من رؤية تقواه ، فلم يستند إلى تقواه ولم ير

نجاته إلا بفضل مولاه (١٤٠) .

📖 الصراط المستقيم :

الصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة عليه سلطان ولا إليه سبيل ، الصراط المستقيم ما شهد بصحته دلائل التوحيد ونبه عليه شواهد التحقيق (١٤١) .

📖 الصبر :

حبس النفس وذلك على ثلاث مراتب : صبر على ما أمر به العبد وصبر عما نهي عنه ، وصبر هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد ، أما في فوات محبوبك أو هجوم ما لا تستطيعه فإذا ترقيت عن هذه الصفة بأن لا يصيبك مشقة أو تنال راحة فذلك رضاً لا صبر (١٤٢) .

📖 التوكل :

أ- شهود التقدير واستراحة القلوب عن كد التدبير (١٤٣) .

ب- يقال التوكل من شرط الإيمان ، فظاهر التوكل الذي لعوام المؤمنين العلم بأن ما قضاه فلا راد له وحقائق التوكل ولطائفه التي لخواص المؤمنين شهود الحادثات بالله من الله ولله فإن فقد ذلك انتفى عنه اسم الإيمان (١٤٤) .

ج- أول التوكل الثقة بالله بوعده ، ثم الرضا باختياره ، ثم نسيان أموركم بما يغلب على قلبك من أذكاره (١٤٥) .

د- التوكل سكون السر عند حلول الأمر ونهايته التفويض فهو تساوي الحلو والمر والنعمة والضر (١٤٦) .

📖 الطاغوت :

الطاغوت كل أحد ما يشغله عن ربه (١٤٧) .

📖 الوصية :

الأغنياء يوصون في آخر أعمالهم بالثلث ، والأولياء يخرجون في

حياتهم عن الكل فلا يبقى منهم إلا همة انفصلت عنهم ، ولم يتصل بشئ لأن الحق لا سبيل للهمة إليه والهمة لا تعلق لها بمخلوق فبقيت وحيدة منفصلة غير متصلة (١٤٨) .

القصص والروايات في تفسيره :

لم يأخذ في تفسيره القصص والروايات المستملة من الأخبار اليهودية والنصرانية إلا أنه ذكر قصتين أو ثلاث في سورة هود بغير ذكر المصدر ، وعندي صحة هذه القصص مربية بل نقيضة العقل ، يتعجب القارئ بهذه القصص علماً أنها كتبت بقلم عالم جليل ومحدث كبير .

أسلوبه في تفسيره :

كما ذكرت قبل ذلك أن القشيري كان ماهراً وبارعاً في اللغة والأدب فنراه في هذا التفسير واقفاً على سر اللسان وخواص التراكيب فأسلوبه أسلوب خاص مطبوع ، قصير الفواصل أليق بموضوعه ، ليس فيه تعقيد صنعة ولا غوامض فلسفية ، إنما يسحر القارئ بلطف مدخله وحسن ترسله وسداد بحثه ، كلماته موجزة ولكن نجد أثراً قوياً في هذا الإيجاز بل نقول : إنه قد بلغ في بعض المواضع غاية جوامع الكلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

(١٠٩) مقدمة تفسيره : ص/ ١ .

(١١٠) رواه البخاري عن أبي جحيفة .

(١١١) من مقدمته .

(١١٢) كشف الأسرار وعدة الأبرار - تأليف الإمام السعيد رشيد الدين أبي

الفضل ٥٢٠هـ ، المنسوب إلى خواجه عبد الله الأنصاري .

(١١٣) تبصير الرحمن للشيخ مخدوم علي المهائمي - المطبوع بمطبع بولاق مصر .

(١١٤) لطائف الإشارات : ص/١٠١ .

(١١٥) المرجع السابق : ص/٥٠٨-٥٠٩ .

(١١٦) المرجع السابق : ص/١٤٧ .

(١١٧) المرجع السابق : ص/١٢٦ .

(١١٨) المرجع السابق : ص/٢٧٦ .

(١١٩) المرجع السابق : ص/١٢٢ .

(١٢٠) المرجع السابق : ص/٢١١ .

(١٢١) المرجع السابق : ص/١١٥ .

(١٢٢) مجموعة الرسائل في وحدة الوجود : ص/٨٧ .

(١٢٣) لطائف الإشارات : ص/١٧٩ .

(١٢٤) المرجع السابق : ص/٢٠٥ .

(١٢٥) المرجع السابق : ص/٢٧٠ .

(١٢٦) المرجع السابق : ص/١٢١ .

(١٢٧) المرجع السابق : ص/١٤٠ .

(١٢٨) المرجع السابق : ص/٥٠٦-٥٠٧.

(١٢٩) الرسالة : ص/٤٣ .

(١٣٠) لطائف الإشارات : ص/١٢ .

(١٣١) المرجع السابق : ص/٢١١ .

(١٣٢) المرجع السابق : ص/١٦٢ .

(١٣٣) المرجع السابق : ص/٧ .

(١٣٤) المرجع السابق : ص/٢١-٢٢.

(١٣٥) المرجع السابق : ص/٤٨ .

(١٣٦) المرجع السابق : ص/١٧٩ .

(١٣٧) المرجع السابق : ص/١٧٠ .

(١٣٨) لطائف الإشارات : ص/١٤٥.

(١٣٩) المرجع السابق : ص/٢١ .

(١٤٠-١٤١) المرجع السابق : ص/٨.

(١٤٢) المرجع السابق : ص/١١٩ .

(١٤٣) المرجع السابق : ص/١٥٩ .

(١٤٤) المرجع السابق : ص/٢٤٤ .

(١٤٥-١٤٦) المرجع السابق : ص/٣٢١ .

(١٤٧) المرجع السابق : ص/١٠٤ .

(١٤٨) المرجع السابق : ص/٧٧ .

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية

(حتى عام ١٩٥٠م)

(حلقة أولى)

بقلم : الدكتور مجيب الرحمن الندوي
(الأستاذ المشارك ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

يكاد يتفق المؤرخون والنقاد على أن الرواية الحديثة فن جديد استورد من الغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضمن النهضة الأدبية الحديثة في مصر وبلاد الشام ، إلا أن بعض الناس يرون أن العرب قد كتبوا الأدب الروائي والقصصي منذ وقت مبكر ويستشهدون في هذا الخصوص بملاحم عنترة ورأس الغول وسيف بن ذي يزن والسيرة الهلالية وحكايات ألف ليلة وليلة ورسالة الغفران وقصة حيي بن يقظان وغيرها ، والحقيقة أن جذور الأدب القصصي قد وُجدت منذ القدم في أدب كل مجتمع سواء في ذلك المجتمع العربي والمجتمعات الأوربية وغيرها ، "ولكن الرواية الحديثة بخصائصها ومقوماتها ليست إلا وليدة العقود الأولى من القرن الثامن عشر في أوربا" (١) ، أما العرب : فلم يكتبوا الرواية إلا في أواخر القرن التاسع عشر في مصر والشام بعد اطلاعهم على هذا اللون من الأدب عن طريق الترجمة من الآداب الغربية ؛ فيقول يحيى حقي :

"لا ضير أن نعترف أن القصة جاءتنا من الغرب ، وأن أول من أقام قواعدها عندنا أفراد تأثروا بالأدب الأوربي والأدب الفرنسي بصفة خاصة" (٢) .

أما الأدب الرسمي قبل ذلك ، فكان يتمثل في أدب المقامات وفي شعر ركيك يفتقر إلى الحياة ، والأدب العربي بمعظمه ، كان يقوم على المهارة اللغوية واللعب بالألفاظ (٣) والحق أن الأدب ليس إلا مظهراً

وانعكاساً لحياة المجتمع العامة، والمجتمع العربي آنذاك كان يمر بتخلف شامل وجمود كامل في معظم نواحي الحياة، ولم يكن لهذا الجمود أن ينكسر إلا بعوامل خارجية وقوية، وشاء القدر أن تتيسر هذه العوامل على الصعيد السياسي في مصر، حين دوت في آفاقها مدافع نابليون في ١٧٩٧م وعلى الصعيد الثقافي عن طريق إرساليات وبعثات مسيحية وافدة إلى هذه البلاد قامت بأنشطتها في مجالات العلم والاجتماع على مستوى شعبي عام.

لقد أدى هذان الحدثان المهمان إلى اتصال بالحضارة الغربية وبالتالي إلى اتخاذ أسباب الإصلاح والنهوض، ومن أهم هذه الأسباب التعليم الحديث في مصر وفي الشام، وكان من نتيجة هذا التعليم الحديث أن برز على الساحة جمهور جديد من القراء يقبل على القراءة في الآداب الأوربية مباشرة أو من خلال الترجمة، ولا يخفى على أحد أهمية الدور العظيم الذي لعبته الترجمة في تسيير النهضة الأدبية، خاصة في عهد إسماعيل حيث انصرفت جهود المترجمين إلى الأعمال الأدبية وكان الاهتمام في عهد محمد علي منصباً على الترجمة العلمية والكتب الدراسية، وازدهرت حركة الترجمة ازدهاراً، فلا نكاد نصل إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين حتى تكون مئات الروايات قد ترجمت من اللغة الفرنسية غالباً ومن الإنجليزية والروسية أحياناً (٤).

وعلى الرغم من عيوب الأعمال المترجمة في تلك الفترة إلا أن دورها في تقديم الأشكال الأدبية بما فيها الرواية إلى القراء العرب وفي تمهيد الأرضية المناسبة للإبداع والإنتاج لا يُستهان بقيمته قط.

وكانت ردود الفعل لدى المثقفين من القراء مختلفة، سواء بالنسبة للقوالب الحديثة أو الأفكار والآراء الوافدة، فرأى البعض أنها تمثل غزواً ثقافياً يجب محاربتها والعكوف على الاستفادة من

التراث العربي القديم، ويندرج في هذا الإطار نداء فتحي زغلول (ت/١٩١٤م) إلى الانصراف كلية عن الروايات المترجمة واعتقاد الأدب لويس شيخو (١٨٥٩-١٩٢٧م) بأن تسعين بالمائة من الأعمال المنشورة، إنما هي ترجمات تافهة وغير أخلاقية يطغى عليها الحب (٥)، على حين اتجه محافظون آخرون إلى إحياء شكل المقامة كما فعل محمد المويلحي (١٨٥٨-١٩٣٠م) الذي نشر مقامته "حديث عيسى بن هشام" في ١٩٠٧م، وكما فعل حافظ إبراهيم (١٨٦٨-١٩٣٢م) الذي نشر ليالي سطيح عام ١٩٠٨م، وكما فعل محمد لطفي جمعه الذي نشر "ليالي الروح الحائر" وآخرون، ورأى الفريق الثاني أن الوافد نتاج حضارة عالمية ستشمل كافة المجتمعات إن علاجلاً أو آجلاً، فيجب تبنيها أسرع ما يمكن دون إضاعة للوقت والجهد في إحياء تراث كان ملائماً لزمنه (٦) مثل الشاميين الأوائل كفرانسيس مراش (١٨٣٦-١٨٧٣م)، وسليم البستاني اللبناني (١٨٤٧-١٨٨٦م) وآخرين الذين أقبلوا على تبني الشكل الغربي دون تردد.

ومن حسن الحظ أن جمهور المثقفين بزعامة المستنيرين من كبار المفكرين كالإمام محمد عبده (١٨٤٢-١٩٠٥م)، فقد آمنوا بأن العقل يحتم الاستفادة مما يساعد على تقوية المجتمع العربي والمسلم، سواء في ذلك الحضارة الغربية أو التراث العربي القديم، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفئة من المثقفين لم تهمل قط أهمية التراث العربي القديم كمادة مهمة في النهضة العربية الحديثة، وهذا الفريق الثالث الذي اتجه إلى كتابة الرواية في شكلها الغربي المألوف متشجعاً برأي الشيخ محمد عبده السالف الذكر وحاول في أغلب الأحيان توظيف الرواية لأهداف تربوية أو أخلاقية أو تاريخية أو اجتماعية، ومن أبرز هؤلاء على سبيل المثال: علي مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣م) الذي نشر روايته "علم

الدين" عام ١٨٨٢م ، وأحمد شوقي (١٨٧٠-١٩٣٢م) الذي نشر عدداً من الروايات التاريخية والمنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤م) الذي قدم عدداً من الأعمال القصصية المعربة غالباً أو المؤلفة ، وجرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) وكثيرون آخرون .

المحاولات الأولية :

المحاولات الأولية في كتابة الروايات جاءت على أيدي اللبنانيين منهم فرانسيس مراش (١٨٧٣-١٩٣٦م) الذي نشر روايته "غابة الحق" في عام ١٨٦٥م ، وهي رواية أخلاقية ولعلها أول رواية عربية مؤلفة (٧) ، وسليم البستاني (١٨٤٧-١٨٨٤م) الذي كتب "الهيام في جنان الشام" التي صدرت عام ١٨٧٠م ، ثم "زنوبيا" عام ١٨٧١م ، و "بدور" عام ١٨٧٢م ، وتوالت رواياته حتى بلغت تسعاً (٨) ، وهي روايات تاريخية وغير تاريخية ، أما روايته الأولى فهي قصة حب ومغامرة ونجوات بمعجزة وشهامة وأسفار في البر والبحر وغارات القراصنة و السجن والسراح ونهاية مرضية ، حيث يتزوج المحبان في نهاية المطاف (٩)، وكان أبرز اللبنانيين الذين ظهروا في تلك الفترة المبكرة هو الكاتب الغزير الإنتاج جرجي زيدان الذي أصدر أكثر من عشرين رواية تاريخية تعتبر خطوة مقدمة على أعمال البستاني وغيره من جهة ، وزيدان هو الخالق الحقيقي للقصة التاريخية في الأدب العربي الحديث ، فقد اجتازت الرواية التاريخية على يديه حلبة لامعة لم يستطع أحد بعده أن يتجاوزها إلا في الأدباء المعاصرين أمثال نجيب محفوظ (١٠) ، ومن أشهر الروايات التاريخية لزيدان "الملوك الشريد" ، و "أرمانوسه المصرية" ، و "فتاة غسان" ، و "عذراء قريش" ، و "الحجاج بن يوسف" ، و "فتح الأندلس" ، و "شارل عبد الرحمن" ، و "العباسة أخت الرشيد" ، و "عبد الرحمن الناصر" .

يحدد زيدان أهداف كتابته للروايات أنها تقصد تعليم التاريخ ، وأن تكون رواياته بعد تصفية العنصر الغرامي منها مرجعاً تاريخياً ، وحرص لذلك على أن تغطي رواياته كل مراحل التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث (١١) يختار زيدان في رواياته الفترات المشرقة التي تمثل أمجاد التاريخ العربي كما يختار المواقف الحساسة التي تمثل صراعاً بين مذهبين سياسيين أو بين كتلتين تتصارعان على النفوذ والسيطرة ، وهذا الاختيار الذي يعمد فيه جرجي زيدان إلى فترات الصراع كان يساعده وهو يسهل مهمته في الجانب الروائي لعمله لأنه يقدم له الحوادث المتنوعة والمغامرة ويقدم له الشخصيات الخيرة والشريرة التي يستغلها في القصة الغرامية (١٢) .

ولكن محاولات زيدان الروائية رغم أهميتها الكبيرة في تسيير النهضة الروائية ، يعوزها جوانب فنية إذ كان الكثير من روايات زيدان يقوم الجانب التاريخي منها على الأقل ، على الأحداث السريعة والمفاجئات والمصادفات والمؤامرات والمغامرات والحب والقتل (١٣) ، ولا تحظى الشخصيات فيها بعناية كبيرة ، وأما عنصر الحوار فيها فهو ضعيف .

ومن الروائيين اللبنانيين الآخرين الذين كتبوا روايات تاريخية واجتماعية في هذه المرحلة ، فرح أنطون (١٨٨٤-١٩٢٢م) الذي كتب أورشليم الجديدة (١٩٠٤م) ، و "الدين والعلم والمال" (١٩٠٣م) ، و "الوحش الوحش الوحش" أو سياحة في أرز لبنان" (١٩٠٣م) ، وكانت رواياته على حد تعبير الدكتور سهيل إدريس "خليطاً من الفنون القصصية" ، ففيها النزعات التحليلية والاجتماعية والأخلاقية والتاريخية والآراء الفلسفية (١٤) ، ويأخذ عبد المحسن طه بدر علي أنطون على ولائه الكامل للحضارة الغربية والفكر الاشتراكي وجعله

المبادئ والأفكار مقدماً على الاهتمام بالحوادث والأخبار (١٥)، ومن بين الروائيين الأولين في لبنان أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠م) بروايتيه "زنبقة الغور" (١٩٧٠م)، و "خارج الحريم"، ومن المهاجرين، جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م) صاحب "الأجنحة المتكسرة" (١٩١٢م)، وروايته في الغالب تتسم بالرومانتيكية والرمزية (١٦)، أما القيمة الفنية فهي هزيلة في رواياته (١٧)، وذلك لأن أبطاله يفتقرون بالإجمال إلى الحياة الطبيعية، إذ هم يبدون نماذج جامدة لا تحركها العواطف الإنسانية المتقلبة، فضلاً عن أن عنصر المبالغة كثيراً ما يفسد تسلسل الأحداث (١٨).

ولعل نقولا حداد (١٨٧٢-١٩٥٤م) أكثر الروائيين الاجتماعيين إنتاجاً، فقد ألف من الروايات ما يعد بالعشرات، وكلها ترمي إلى أهداف تربوية وأخلاقية واجتماعية، ومن مواضيعه: الرجل والمرأة، والخير والشر، والأنظمة والشرائع، والعادات والتقاليد، والطبائع والأخلاق، وما إلى ذلك (١٩)، والواقع أن نقولا حداد يجمع في نفسه مزيجاً من العلم والأدب والتفكير النظري، وتغلب على شتى مؤلفاته ومقالاته الاجتماعية معالجة القضايا التي تتعلق بالحياة والمجتمع الإنساني (٢٠)، ومن رواياته القيمة، "حواء الجديدة" (١٩٠٦م) وهي نقد للناموس الاجتماعي الجائر الذي يتجاوز عن خيانة الرجل أو خلاعته ويحاسب المرأة على وقوعها بين يديه حساباً ثقيلاً، و "آدم الجديد" (١٩١٤م) التي يقص فيها الكاتب تاريخ آل الخزامي وقد اتخذ من مصر مسرحاً للقصة، و "العين بالعين"، ويحاول فيها تجلية الطبع البشري في تطرفه بين الخير والشر، و "بينة لبنان"، وهي تدور على حب شاب وفتاة عاشا في عهد لبنان الإقطاعي أواسط القرن الماضي ويظهر فيها مطامع الدولة العثمانية والدول الأوربية في الاستعمار

على لبنان وسوريا وما تقوم بها من دسائس وفتن أدت إلى الأحداث الدامية المعروفة بحوادث السنة الستين (٢١).

🕮 ميلاد الرواية الفنية:

يرى معظم النقاد أن ميلاد الرواية الفنية في الأدب العربي الحديث إنما جاء على يد محمد حسين هيكل، وفي هذا الصدد يقول الدكتور حمدي السكوت: "إن التاريخ الحقيقي للرواية المصرية والعربية بالمعنى الدقيق للكلمة إنما يبدأ بعام ١٩١٣م، حين ظهرت رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل (٢٢) بعنوان: "زينب: مناظر وأخلاق ريفية - بقلم فلاح مصري"، ويقول يحيى حقي في هذا الصدد: من حسن الحظ أن القصة الأولى (يعني زينب) في أدبنا الحديث قد ولدت على هيئة ناضجة جميلة، فأثبتت لنفسها أولاً حقها في الوجود والبقاء واستحقت ثانياً: شرف مكانة الأم في المدد منها والانتساب إليها" (٢٣)، وتتميز "زينب" باستطراد السرد وقلة الحفاوة بالحوار، وإقامة القصة على عمود الحب والدوران حوله في المجتمع المصري في طبقتي الفلاحين والإقطاعيين، وكان الهدف من كتابتها كما صرح بها الكاتب، وصف الريف المصري، وتختلف زينب اختلافاً حاسماً في لغتها وموضوعها وأسلوب معالجتها عن أي شئ كتب قبلها، وإذا كان بها بعض الأخطاء، فإن لذلك أهمية ثانوية إذا ما قدرت بحقيقة أن المهمة قد أنجزت وأن شكلاً جديداً وأصيلاً من النتاج الأدبي قد أضيف إلى الأدب العربي (٢٤).

وأهم ما يميز رواية زينب من الروايات الأخرى هي الواقعية التي لم تكن تتوافر عادة في الروايات فضلاً عن أن اختيار القصة المصرية مسرحاً لأحداث الرواية وشخوصها قد مكن المؤلف "ابن القرية" من تقديم صورة واقعية للعادات والقيم والتقاليد وجوانب

الحياة الريفية التي جربها هيكل وعايشها وانفعل بها عن قرب، ثم وظفها لخدمة الحدث، فاكتسبت الرواية بذلك أصالة لم تتوافر فيما كتب قبلها من أعمال، وفي كلمات يحيى حقي: "إن مكانة قصة زينب" لا ترجع فحسب إلى أنها أول القصص في أدبنا الحديث، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الريف وصفاً مستوعباً شاملاً (٢٥).

ولكن الجدير بالملاحظة أن رواية "زينب" لم تلق نجاحاً ملحوظاً إلا بعد ظهور طبعتها الثانية في عام ١٩٢٩م (٢٦)، وأثر نجاح الطبعة الثانية في اتجاه عديد من الأدباء المحترمين إلى كتابة روايات ذاتية كإبراهيم المازني الذي كتب "إبراهيم الكاتب" ١٩٣١م)، وتوفيق الحكيم الذي كتب "عودة الروح" ١٩٣٣م، و "يوميات نائب في الأرياف" ١٩٣٦م، وعصفور من الشرق ١٩٣٨م، و "الرباط المقدس" ١٩٤٤م، وكعباس محمود العقاد الذي كتب "سارة" عام ١٩٣٨م، وطه حسين بروايتيه "أديب" ١٩٣٦م، و "شجرة البؤس" ١٩٤٤م، ويحيى حقي الذي أنتج "البوسطجي" ١٩٣٣م، و "قنديل أم هاشم" ١٩٤٤م، وكل هذه روايات سيرة ذاتية مثل "زينب" على اختلاف في الدرجة (٢٧).

ولأسباب كثيرة، ظلت الفترة التي تلت ظهور "زينب" إلى نهاية العشرينات فترة عقيمة بالنسبة للإنتاج الروائي، فلم تظهر في هذه الفترة سوى ثلاث روايات هي رواية "ثريا" ١٩٢٢م لعيسى عبيد، ورواية "رجب آفندي" ١٩٢٨م لمحمود تيمور، ورواية "ابنة المملوك" ١٩٢٦م لمحمد فريد أبو حديد، والأخيرة يمكن اعتبارها أول رواية تاريخية مصرية تستحق التنويه (٢٨)، أما رواية "ثريا" و "رجب آفندي" فهما روايتان فنيتان تحليليتان ولهما مكانة في تاريخ الرواية العربية الحديثة.

وما يستحق التنويه في هذا المقام، أن في الفترة ما بين الحربين العالميتين خضعت الرواية العربية لتحولات جذرية في الموضوعات والتكنيك، فهناك مشاعر وطنية أخذت تتقوى وظهرت رغبة للاستقلال السياسي مصحوبة بتحول ثقافي كان له أبعد الأثر وأعمقه في جوانب عديدة للمجتمع المصري (٢٩)، فحاول الكتاب الشبان بجدية إنتاج قصة مصرية تعكس بجلاء مميزات وخصائص الشخصية المصرية مدفوعين بالروح الجديدة القوية، وبحثوا عن موضوعاتهم في الحياة المصرية ومجتمعها واعترفوا بتفوق التكنيكات الغربية على الأشكال العربية القديمة كالمقامات، ولم يتردد هؤلاء في تصوير مجتمعهم تصويراً واقعياً وإن دفعهم ذلك إلى الاعتراف بأن النزعة الرومنطيقية عند أسلافهم لم تعد صالحة للزمن (٣٠)، ومن بين رواد الواقعية الجديدة عيسى عبيد ومحمود تيمور وطاهر لاشين، ويصف الدكتور عبد المحسن طه بدر هؤلاء بأنهم كتاب الرواية التحليلية.

حاول عيسى عبيد في رواية "ثريا" ومحمود تيمور في رواية رجب آفندي إبراز الشخصية المصرية والتعبير عن الواقع المصري، وتيمور أكثر حماسة في تصوير البيئة الشعبية وشخصياتها لأنه كان يشعر أن هذه البيئة هي التي أنجبت المكافحين والأبطال الذين تحملوا العبء الأكبر في الثورة القومية في سنة ١٩١٩م، والواقع أن الجماهير الشعبية قد فلجأت كبار المثقفين والكثير من الزعماء السياسيين أيضاً بعنف غضبها في هذه الثورة (٣١)، وكان اختيار البيئة المصرية والقطاع الشعبي من هذه البيئة بالذات، أول نجاح حققه رواد الرواية الفنية واختلفوا فيه عن كتاب روايات التسلية والترفيه (الروايات التاريخية الغرامية والاجتماعية الغرامية وغيرها)، وأحلت أرض الواقع العادي بأبطالها من البشر العاديين محل البيئة الأجنبية مثل

اليابان ، أو إنجلترا ، أو روسيا ، أو ينتقل بأبطاله إلى باريس أو يبحث عنهم في قصر إقطاعي من الإقطاعيين (٣٢) .

ففي رواية "ثريا" ١٩٢٢م لعيسى عبيد ليست ثريا الشخصية المركزية بل إنها وديع نعوم ، وهو شاب مختل الأعصاب ، شاذ وغريب الأطوار ، حاول منذ طفولته التغلب على الشدائد ، وهو أمين ومجد في عمله ولكنه متحفظ ومنطو على ذاته ، ويقع في حب ثريا التي هي شابة جميلة ومثقفة ولكنا طموحة وتريد أن تتزوج للثراء والمكانة الاجتماعية ، فهي تقف مع وديع موقف الرافض ، وتغير دينها المسيحي لكي تتزوج أحمد بك وهو مسلم تركي وثري ، تواجه ثريا إدانة من أسرتها لعملها ذلك ولكن الوديع مثابر في حبه لثريا ويحلم برجوعها إليه ذات يوم ، ولكي يحصل على حبها له ، فتح له توّا ورشة كبيرة ، وأخذ يسعى بنشاط مدهش سعياً وراء الثروة ، ولكن لسوء الحظ ، يترك الكاتب بطله معلقاً بين علاقة حب لم تنته ، ويتركه على أمل في المستقبل لا أحد يدري هل سيتحقق أم لا ؟ وقد اعترض بعض الأدباء على هذه النهايات المعلقة في إنتاج عيسى عبيد ، إن رواية "ثريا" لا تخلو من عديد من نواحي الضعف الفني فالبناء القصصي يكاد يكون حلقات ويقدم تصويراً سطحياً للمجتمع المصري (٣٣) ، والشخصيات مستمدة من المجتمع السوري المهاجر وليس من المجتمع المصري بجميع طبقاته ، وهي مفروضة على ما يعتبره الكاتب خلفية حقيقية ولكنها في الحقيقة بسيطة وعامة يمكن تطبيقها على أي مجتمع (٣٤) كما أن اختيار الكاتب لشخصية شاذة لا تتولد بتحكم الظروف الاجتماعية بل إنها تبدو شخصية منفصلة عن المجتمع ، وعلى هذا ، فإن التحليل النفسي لنفسية وديع وحركية شخصيات عبيد ، تمثل تقدماً متميزاً على أسلافه بالنسبة للفن

الروائي .

أما رواية "رجب آفندي" لمحمود تيمور التي ظهرت عام ١٩٢٨م ، فتكشف عن إحساس الكاتب السطحي بالبيئة المصرية ويتمسك بالمظهر الخارجي ويقف عند حد التعلق بالأسماء والغريب والظريف من العادات ولم يعمق إحساس الكاتب إلى الحد الذي يجعله يشعر بالمشاكل الحقيقية للبيئة والتيارات القوية التي تكيف حياتها ولم تتجاوز نظرته السطحي والخارجي لتكشف الأصيل والجوهري بدلاً من السطحي والزائف ، وكان لهذه الظاهرة أثرها الخطير في طريقة تناول الأحداث وبناء العقدة في رواية رجب آفندي (٣٥) .

ومثل وديع لعيسى عبيد ، فإن بطل تيمور "رجب" ، شاب عازب غريب الأطوار ومنطو على ذاته ، ولكنه متدين جداً ويقع تحت تأثير الأرماني الحاج أحمد حلجيان الذي يدعي بتحضير الأرواح ، وتستحوذ على رجب فكرة الاتصال بأبويه اللذين توفيا في صباه ، ولكنه يدرك أن حلجيان دجال من الدجالين ، وفي ثوران من الغيظ يخنق حلجيان ويأوي إلى ملجأ المجانين لبقية حياته ، منذ البداية حدّد الكاتب شخصية رجب ولم يسمحها بأن تتطور بذاتها ، ولكن تيمور يحلل ببراعة ومهارة الصراع الدائر بين الباعث الديني وبين اعترافه بالطبيعة الحقيقية لحلجيان رغم أن هذا الصراع لا ينشأ من تصرفات رجب بل إنه مفروض من قبل الكاتب ، ورغم أن تيمور يستمد شخصياته من الطبقات السفلى والمتوسطة ، ولكن خلفية الكاتب التركية الارستقراطية توضح أن رغبة في هؤلاء الأشخاص إنما تأتي من فضوله وليس من التعاطف الحقيقي معها .

ورواية تيمور الثانية "الأطلال" التي نشرت في عام ١٩٣٤م تركز على الارستقراطية التركية بدلاً من الطبقات السفلى والمتوسطة

، بطل الرواية سميع يتيم من أسرة ارستقراطية ويعيش مع إخوته المتزوجين ، ويريد أن يتزوج مع فتحية ، وهي فتاة من أسرة فقيرة ، وهي حامل بولده ، ولكن أخاه يقف في وجه زواجه من فتحية ، يتعرض سميع للانشطار الذهني (النورستانيا) نتيجة لفراق حبيبته ويتوخى السلوى في صحبة العاهرات ويصاحب نساء خطيرات ، يصمم سميع على الانتقام من أخيه ويقيم علاقة غرامية مع زوجة أخيه "تهاني" ويخطط لقتل أخيه ، ولكن أخاه يطلع على العلاقة غير الشرعية بينه وبين زوجته ولكنه يأسف للضرر الذي ألحقه بسميع ، و يموت فوراً بعد ذلك ، يتفقد سميع فتحية ، ولكن لما عرف أنها ماتت ، عزم على أن يعيش عيشة كريمة وسعيدة مع ابنه ، بينما تعالج "الأطلال" قضايا مثل السادية والعلاقة الجنسية غير الشرعية أكثر من القصص المصرية الأخرى ، ولكنها في الأغلب تستطرد ولا تقدم مبرراً كافياً للأعمال السادية عند البطل ، إضافة إلى ذلك ، يبدو أن تيمور قد أحدث تسلسلاً من المواقف التي توحي إطاراً سلوكياً لشخصية غريبة الأطوار ، وذلك ليبرز مدى قدرته على تفهم المشاعر الإنسانية ولكن باهتمام قليل بقالب الحبكة (٣٦) .

---

(١) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي ١٨٦٥-١٩٩٥م : ج/١،ص/٢٢.

(٢) يحيى حقي : فجر القصة المصرية : ص/٢٣ .

(٣) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي ١٨٦٥-١٩٩٥م : ج/١،ص/٢٩.

(٤) موسى مطي .The original of Modern Arabic Fiction, p.76-77

(٥) The Egyptian novel & its main trends (1913-1952): Hamdi sakkut.

(٦) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : ص/٢٩ .

(٧) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : ج/١ ، ص/٣٣ .

(٨) نفس المصدر : ص/٤-٣٣ .

(٩) M.M.Badawi: A short history of Modern Arabic Literature, p.96.

(١٠) سهيل إدريس : محاضرات عن القصة في لبنان : ص/١٥ .

(١١) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/١٠٠ .

(١٢) نفس المصدر : ص/٩٢ .

(١٣) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : ص/٣٤ .

(١٤) سهيل إدريس : محاضرات عن القصة في لبنان : ص/٧ .

(١٥) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/٩١-٩٩ .

(١٦) سهيل إدريس : محاضرات عن القصة في لبنان : ص/٢٦ .

(١٧-١٨) نفس المصدر : ص/٢٥ .

(١٩) أنيس المقدسي : الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : ص/٥٢٤ .

(٢٠) محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث (١٨٧٠-١٩١٤م) : ص/١٠٣ .

(٢١) أنيس المقدسي : الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : ص/٥٣٥ .

(٢٢) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي .

(٢٣) يحيى حقي : فجر القصة المصرية : ص/٤١ .

(٢٤) Gibb, H.A.R. "Studies in contemporary Arabic Literature", "Studies on the civilization of Islam" Ed. By S.J. Shaw and W.R.polk. p.292.

(٢٥) يحيى حقي : فجر القصة المصرية : ص/٤٨ .

(٢٦) حمدي سكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : ص/٤٠ .

(٢٧) نفس المصدر : ص/٣٩ . (٢٨) نفس المصدر : ص/٤٠ .

(٢٩) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Fiction, p.174.

(٣٠) نفس المصدر : ص/١٧٤ .

(٣١) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/٢٣٩ .

(٣٢) نفس المصدر : ص/٢٤٠ .

(٣٣) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/٢٥٢ .

(٣٤) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Fiction, p.175.

(٣٥) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/٢٤٢ .

(٣٦) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Fiction, p.176.

بأقلام الشباب :

منهج الرسول الكريم في تفسير القرآن الكريم

الأخ الأستاذ عبد الحكيم الوافي توتي
(كيرالا - الهند)

يعتبر الرسول الكريم ﷺ أول مفسر للقرآن الكريم ، وهذه حقيقة لا شك فيها ، وإن لكل مفسر أسلوباً ومنهجاً في تفسيره ، وعندما ندير فكرتنا حول هذا الموضوع نفهم أنه موضوع يستحق البحث والتفكر .

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا ونبينا محمد مصطفى ﷺ وفيه مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان ، ومعان مغلقة تحتاج إلى تبيين وتوضيح ، والعرب كانوا يقفون أحياناً عاجزين عن فهم معاني القرآن رغم فصاحتهم ورغم أنه كان في لغتهم ، وفي هذا الحال ليس لهم إلا الرسول يشرح لهم ما غمض عليهم فهمه ، ويفسر لهم ما أجمله القرآن .

أهمية تفسير النبي الكريم ﷺ :

إذا بحثنا عن إرسال الله الكتب الإلهية لتبيّن أن الكتب السماوية لا ينزلها الله على الناس إلا في عصور الجهل والظلام والضلال حين يكون الناس قد ضيعوا العلم ونسوا القيم ، علاوة على ذلك إن هذه الكتب السماوية لها طبيعة خاصة ، وهي تشمل عقائد وتعاليم ونظاماً جديداً لم يألفها الناس من قبل ولم يسمعوها ولم يعلموا عنها شيئاً بل إنهم يفاجئون بها هادمة لما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، وإن العقل البشري لا يمكن أن يرقى وحده وأن يصل

بنفسه إلى مستوى الفهم الصحيح دون الاستعانة بتفاسير النبي الكريم ﷺ ، لا سيما في موضوع الغيبيات السمعيات ، ومن هنا تبرز أهمية تفسير النبي الكريم ﷺ وضرورته علاوة على ذلك ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ * لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِيْ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ * وَهُدىً وَّرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ﴾ .

مصادر تفسير النبي الكريم ﷺ :

الاطلاع إلى ما اعتمده النبي الكريم ﷺ في تفسيره لآيات القرآن الكريم مهم جداً ، لأن النبي الكريم ﷺ كان أمياً لا يعرف الكتابة ولا القراءة كما قال تعالى : ﴿ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ بل لا يعرف معنى الكتاب ولا فلسفة الإيمان كما بين الله تعالى ذلك في القرآن : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوْحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِيْ مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيْمَانُ ﴾ .

كيف استطاع النبي الكريم ﷺ أن يفسر القرآن الكريم رغم إعجازه وفصاحته ، فجدير بأن نفتش عن ذلك ، ومن أين حصل النبي الحبيب ﷺ هذا المعلوم وما كان مصادره ، والمرور من خلال ما فسر الرسول الكريم ﷺ يظهر لنا أن تفسير الرسول الأعظم ﷺ موقوف على ثلاثة مصادر مهمة ؛ وهي : الوحي ، والثاني الحكمة ، والثالث كشف الغطاء .

• أولاً - الوحي :

ومن الواضح أن الله تعالى هو الذي يتولى تعليم النبي الكريم ﷺ حتى قال : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ ، وقال الرسول الكريم ﷺ : "أدبني ربي فأحسن تأديبي" اعتماداً على هذا الأساس نقول : إن

الله تعالى علّم نبيه ﷺ تفسير القرآن الكريم بطريق الإلهام بـأن يلـهم إلى النبي الكريم ﷺ هذا التفسير وأن يوحى إليـه بـه ، ويمكـن لنـا أن نسمي : بوحي البيان ، الوحي ليس وحي تنزيل فقط بل هناك متعدد ، ويشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَـا بَيَانَـهُ ﴾ وهـو التعليـم السري الصادر من الله تعالى للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

• ثانياً - الحكمة :

وهي التي وهبها الله تعالى لأنبيائه الذيـن أنـزل عليـهم كتـاب سماوي ، فقـد بـين الله ذلـك في الكتـاب : ﴿ وَقَـدْ آتَيْنَـا آلَ إِبْرَاهِيْـمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ وقـال ﷻ مخاطبـاً لعيسـى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُـكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيْلَ ﴾ فالحكمة هـي العلـم اللدنـي الذي يلقيه الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسـلام ، وكـان إبراهيم عليه السلام حريصاً على أن يضمن الحكمة في دعائه للبعثة المحمدية ، ويبدوا ذلك في قوله تعـالى في دعـاء إبراهيـم : ﴿ رَبَّنَـا وَابْعَـثْ فِيْـهِمْ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ * يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَـاتِكَ * وَ يُعَلِّمُـهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ * إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾ استفاد النبي الكريم ﷺ مـن الحكمة في تفسيره وبيانه واستسقى من ينبوعها كثـيراً ، لأن الله تعـالى أعطى لنبينا ﷺ حكمة أكثر مما أعطى أحـداً مـن الأنبيـاء والمرسـلين ، إشـارة إلى ذلـك يبـين الله تعـالى : ﴿ وَ أَنْـزَلَ اللهُ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ وَ الْحِكْمَةَ * وَ عَلَّمَكَ مَـا لَـمْ تَكُـنْ تَعْلَـمُ * وَ كَـانَ فَضْـلُ اللهِ عَلَيْـكَ عَظِيْماً ﴾ .

فما هي الحكمة التي خصّها الله لنبينا محمد ﷺ ، هي عند الإمام الطبري رحمه الله : الفهم الفقهي لكل ما كان في الكتاب مجمـلاً ذكـره مـن حلاله وحرامه وأمره ونهيـه وأحكامـه و وعـده و وعيـده ، وهـي عنـد

مالك رحمه الله الحكمة المعروفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له ، وهـذا هو المصدر الثاني الذي أنعم الله الأنبياء به فاستطاع النبي الكريـم ﷺ أن يفسر القرآن بسهولة .

• ثالثاً - الكشف الإلهي :

الكشف الإلهي هو المصدر الثالث الذى اعتمده النبي الكريـم ﷺ في تفسيره .

وفي الأحاديث كثير من الواقعات اللاتي اطلع الله تعـالى نبيـه ﷺ على كثير من آيات خلقه في السـماوات والأرض ، اطلـع الله إيـاه ﷺ على كثير مما أبدعه الله من ملكوته ، فأراه في المنام واليقظة مـا أراه من مشاهد الجنة والنار والسماوات السـبع ، وكشـفها لـه وخاصـة في ليلة الإسراء والمعراج ، وهذا الكشـف هـو الـذي عـبر عنـه القـرآن : "بكشف الغطاء" وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْـتَ فِـيْ غَفْلَـةٍ مِّـنْ هَذَا * فَكَشَفْنَا عَنْـكَ غِطَـاءَكَ * فَبَصَـرُكَ الْيَـوْمَ حَدِيْـد ﴾ وهـذا هـو المصدر الثالث الذي اقتبس الرسول الكريم ﷺ في التفسير من نوره ، خاصة في الآيات الغيبية .

📖 أسلوب تفسير النبي الكريم ﷺ :

إذا أمعنا النظر فيمـا فسره الرسـول الكريـم ﷺ مـن الآيـات نستطيع أن نقسمه إلى عدة أنواع :

• أولاً - تفسير الآيات الغيبية :

الآيات الكريمة التي تحدث عن الغيبيات ، فسـر النـبي الكريـم ﷺ معظماً منهـا مثـلاً : ﴿ يَـوْمَ يَـأْتِيْ آيَـاتُ رَبِّـكَ * لاَ يَنْفَـعُ نَفْسـاً إِيْمَانُهَا * لَـمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِـنْ قَبْـل ﴾ ؛ فقـال الرسـول الكريـم ﷺ لا تقوم الساعة حتى تطلـع الشـمس مـن مغربـها فـإذا طلعـت وراءهـا

الناس آمن أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ عليه الآية .

• **ثانياً - تفسير الآيات التاريخية :**

ولقد فسر الرسول الكريم ﷺ كثيراً من الآيات التاريخية التي تتعلق بالأنبياء والصادقين وأقوامهم مثل عيسى وموسى عليهما السلام ، وتحدث عن بني إسرائيل وغير ذلك .

• **ثالثاً - بيان النسخ :**

ففي القرآن الكريم قليل من الآيات الناسخة ما قبلها والمنسوخة لما بعدها ، وذلك النسخ يظهر من كلام النبي الكريم ﷺ وتفسيره ، فآية الوصية للوالدين منسوخ حكمها وأن بقيت تلاوتها ، فبان نسخ تلك الآية من قول النبي الحبيب ﷺ : **"لا وصية لوارث"** .

• **رابعاً - تمييز المحكم من المتشابه :**

ففي القرآن آيات محكمات وآيات متشابهات ، فبعض من الآيات يظنها الناس في أول وهلة أنها من المتشابه ولكن يبينه الرسول ويفسره حتى تكون الآية محكماً ، أعني أن تفسير النبي الكريم ﷺ يتميز بالمحكم من المتشابه مثلاً قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِيْنِ** ﴾ ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾ فظن البعض أن الرسول رأى ربه فسئلت عن ذلك عائشة رضي الله عنها ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : **"إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين"** .

• **خامساً - تفصيل المجمل :**

ففي القرآن ما جاء مجملاً فسره الرسول الكريم ﷺ وفصله حتى يتبين لكل واحد من ذلك ، ما الغرض وما الحكم وغير ذلك ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيْمُوْا الصَّلاَةَ وَآتُوْا الزَّكَاةَ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ﴾ ، و قد فسره وفصّله بأقواله و أفعاله

تفصيلاً تاماً حتى قال : صلوا كما رأيتموني أصلي ، و قال في الحج : خذوا عني مناسككم .

• **سادساً - تخصيص العام :**

ففي القرآن ما جاء عني نزول الحكم عاماً ففسره الرسول الكريم ﷺ وقيده بقيود ، مثلاً قال تعالى : ﴿ **وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوْا بِأَمْوَالِكُمْ** ﴾ فهذا قول عام وقد خصه النبي الكريم ﷺ بقوله : **"لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها"** .

• **سابعاً - توضيح المبهم :**

ففي القرآن ما جاء مبهماً على الناس فأحياناً سألوا النبي الكريم ﷺ ، وأحياناً بين لهم الرسول بلا سؤال ، مثلاً قوله تعالى : ﴿ **الَّذِيْنَ جَعَلُوْا الْقُرْآنَ عِضِيْنَ** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

وتفسير الرسول الكريم ﷺ يظهر في أقواله وتقريره وأفعاله ، ففي تفسير النبي الكريم ﷺ ما فسر بأقواله وهو كثير جداً وما فسر بأفعاله مثل آيات الطهارة والصلاة ، ونجد في تقريراته السؤال عن بعض الأمور ، لذلك نجد تفسير النبي الكريم ﷺ في كتب التفاسير وكتب الأحاديث وغير ذلك .

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

***

أخبار علمية وثقافية :

ندوة علمية تعليمية
عن المناهج التعليمية والتربوية في شبه القارة الهندية
تقييم للواقع وتخطيط للمستقبل
في جامعة الإمام احمد بن عرفان الشهيد ، أحمد آباد ، كتولي ، مليح آباد ، لكناؤ (الهند)

تقرير من الندوة

نظمت جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، لكناؤ (الهند) ندوة علمية تعليمية حول الموضوع : "المناهج التعليمية والتربوية في شبه القارة الهندية ، تقييم للواقع وتخطيط للمستقبل" خلال الفترة ٣-٥/فبراير ٢٠٠٧م تحت رعاية جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية (الكويت) لقد تمت هذه الندوة ونجحت في مهمتها بمحاولات ضخمة وجهود قام بها فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي ؛ رئيس الجامعة نفسها ، ومواصلته الليل بالنهار وعناية كريمة وجهود مشكورة بذلها سعادة الدكتور الشيخ الداعية المفضال نادر عبد العزيز النوري - حفظه الله ورعاه - أمين السر لجمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية ، دولة الكويت ، وقد حضر هذه الندوة عدد لا بأس به من العلماء والمفكرين ورجال التعليم والتربية وذوي الخبرة في هذا المجال ، ومن أصحاب المدارس ومسئولي الجامعات من عدة دول ، شملت المملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت والإمارات ، وتركيا ، وقازاقستان ، وبريطانيا ، وباكستان وبنغلاديش ، ومن أهم الضيوف الذين شرفوا بقدومهم المبارك بهذه المناسبة :

١- فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء - لكناؤ الهند

٢- فضيلة الشيخ نادر عبد العزيز النوري
أمين السر لجمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية دولة الكويت

٣- فضيلة الشيخ محمد أرشد المدني رئيس جمعية علماء الهند

٤- فضيلة الشيخ عبد الحق الأنصاري أمير الجماعة الإسلامية بالهند

٥- فضيلة الشيخ عبد الفتاح الديّاب
مستشار وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت

٦- فضيلة الشيخ يوسف السند
جمعية الإصلاح الاجتماعي دولة الكويت

٧- فضيلة الشيخ الدكتور بدر الماص
رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الكويت

٨- فضيلة الشيخ سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

٩- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى الطحان
رئيس الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية الكويت

١٠- فضيلة الشيخ الدكتور سليمان الزايدي
المملكة العربية السعودية

١١- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق ظفر
الأمين العام للهيئة الإسلامية العالمية للتعليم السعودية

١٢- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله القرني المملكة العربية السعودية

١٣- فضيلة الشيخ المفتي عبد الستار مفتي جمهورية قازاقستان

١٤- فضيلة الشيخ حمدي أرسلان تركيا

وغيرهم جمع طيب مبارك ، ونخبة كريمة من العلماء والمفكرين من الهند وخارجها ، وكانت المحاور المحددة للندوة كما يلي :

١- المنهج القرآني والنبوي للتعليم .

٢- نظام التعليم والتربية في القرون الثلاثة .

٣- المناهج التعليمية في العالم الإسلامي من القرن الرابع الهجري إلى القرن الحادي عشر الهجري .

٤- المناهج التعليمية والتربوية في شبه القارة الهندية من القرن الثاني إلى نهاية القرن الخامس عشر الهجري .

٥- نقد المناهج التعليمية القائمة في شبه القارة الهندية واقتراح البديل

٦- مناهج التربية والإشراف والتزكية في المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية .

تضمنت الندوة بعض المحاضرات ، وإلقاء أكثر من ثلاثين بحثاً علمياً حول المحاور الستة المذكورة والمناقشات العلمية فيما بين المشاركين عبر ست جلسات .

انتهت الندوة بنجاح باهر ، وقد اتخذت توصيات وقرارات حول الموضوع بالإجماع .

***

الأساتذة العرب يزورون ندوة العلماء

بقلم : الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي

زار وفد من الأساتذة العرب جامعة ندوة العلماء بمناسبة الندوة العلمية والتعليمية التي عقدتها جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في منطقة "مليح آباد" بمديرية لكناؤ، حول : **"المناهج التعليمية والتربوية في شبه القارة الهندية"** فاستقبله المسئولون عن جامعة ندوة العلماء استقبالاً حاراً، وقدّموا كلمات التهاني والتبريكات إليهم، وقد عُقدت حفلة تحت رئاسة فضيلة الشيخ نادر عبد العزيز النوري ؛ رئيس جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية، قام بإدارة الحفل سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ؛ مدير دار العلوم التابعة لندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة : **"البعث الإسلامي"** الشهرية الغرّاء، وقدّم تعريفاً موجزاً لندوة العلماء وأقسامها وبرامجها المنوعة، وسلط الضوء على مدى تأثيرها في مجال العلم والتربية والدعوة الإسلامية، ثمّ تفضل سعادة الدكتور الشيخ نادر عبد العزيز النوري حفظه الله، بكلمة فياضة ذكر فيها انطباعاته العميقة حول ندوة العلماء ومكانتها الفريدة في الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الأصالة والمعاصرة بغاية من الاتزان والاعتدال، و وجه شباب دار العلوم وطلابها إلى أن الحكمة الإصابة في الأمور، فالحكمة مطلوبة في عصرنا هذا، لأننا نرى أفكاراً شاذةً غريبةً منحرفةً عن الجادة، فهناك تيارات : تيار للخوض والجدل وإثارة الخلاف حول كل

مسألة من العقائد والولوع بالجدل والتفسيق والتفريق، وتيار الطواف حول الخرافات والبدع، وتيار التحرش في المجتمع، الشباب هم الأمل للأمة، الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، فهم في حاجة إلى أربعة أصول : المنهاج، والنظام، والقيادة الحكيمة، والجنود المخلصون، تناول الشيخ النوري هذه الأصول بالشرح والبيان قائلاً : لابد أن يكون المنهاج واضح المعالم وصريح المعالم، والنظام هو الخيط الذي يجمع حبات العقد، فإذا ارتبطت حِلَقها، وكان الترابط مبنياً على الكتاب والسنة تحقق النصر من الله، إنّ العالم الإسلامي يزخر اليوم بجميع المعدات والثروات المعدنية، لكن النظام منفصمة عراه، هذا الذي جَرَّ إلى المسلمين كثيراً من النكبات، وإن القيادة الحكيمة والجنود المخلصين ؛ هما يبرّران العمل، فنحن بحاجة إلى هذا المنهاج، لأنه مصنع الرجال.

وخطب الداعية الإسلامي الدكتور مصطفى محمد الطحان فقال : إن الدعاة الإسلاميين أنقذوا الأمة من الكفر مدّة تذوق الأمة الإسلامية مرارتها ولا يدرى مداها، وقال سعادة الدكتور الشيخ يوسف السند : إنّ النبي الكريم ﷺ لمّا تحمّل ما تحمّل لنشر كلمة الله فجاء الطرد والإبعاد من رحمة الله للأعداء في شكل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَّتَبَّ ﴾ ثم كانت تربيته الإيمانية من الله ﷻ والهجرة النبوية التي استنارت بها المدينة المنورة والعهد الزاهر والخلافة الراشدة، الفضل الذي يرجع إليه هو الإيمان الكامل والثقة بدين الله ﷻ، وأضاف قائلاً : التواصل مع الآخرين يجدي الأمة نفعاً كثيراً، وقد تمثل الخطيب بأقوال الشعراء أثناء خطبته فازدادت روعة وتأثيراً في قلوب المستمعين، وقال فضيلة الدكتور الشيخ سليمان الزايدي ؛ عضو

مجلس الشورى للمملكة العربية السعودية : إني قد توصلت بعد ثلاثين عاماً بالتجربة إلى أن أفضل أيام للإنسان عندما يكون في أماكن العلم ، فبعض الطلاب يقدّر الوقت ، وبعض منهم يضيّعه في عمل غير طائل ، فالشرط الأساسي للطلاب أن يكونوا عالميين لأنّ عهدنا عالمي ، فحذار أن تكون غايتنا محدودةً أو مقصورةً على شئ ، إنّه نوّه بخدمات مسئولي ندوة العلماء قائلاً : يا معشر الطلاب ! إنكم إذا بذلتم الوقت في مصرف صحيح ، فتكونون مثل هؤلآء العلماء (أي المسئولين عنها في نفس الوقت) وأشار عبد الفتاح الديّاب مستشار وكيل وزارة الأوقاف لدولة الكويت إلى أن كيفية تحقيق النظر تأتي إلى عالم النور بأربعة عناصر : المنهاج المستقيم ، تعيين الهدف ، التكيف مع المجتمع ، والتعود على العمل ، وهذا كله مقرون بالإخلاص لله تعالى .

تحدث الشيخ عبد الرزاق ظفر أستاذ بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة فقال : نحن في عملية تربوية ، فالمرتكز الرئيس لنا هو تذكر المعلومات وفهمها فهماً صحيحاً ، ثمّ تحليلها وتقويمها بالإنابة إلى الله والركون إلى جنابه ، وقال الدكتور بدر الماص ؛ الأمين العام للمجلس الإسلامي للدعوة والإغاثة لدولة الكويت : المسلمون في مد وجزر ، والله سبحانه هو الذي يسخّر النظام للدين ، بذلك يتحرك الإيمان وتتحرك الجنود ، لكن بشرط أن يتضمن هذا العمل في داخله الكرامة والطموح ، بحيث لا يكن همّ الإنسان فيما يأكل ويشرب ، بل الوصول إلى الذروة السامقة للمجد والعلى ، كأنه قال : **"من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب"** واستشهد ببعض أقوال العارفين بالله والعاملين لله ، ولا سيما الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ﷺ ، وقال الشيخ صالح محمد الظفير ؛ مدير مركز رأس الخيمة للدعوة والسنة : إن عهد

الدراسة في الجامعات رحلة الهمة العالية والنبوغ في الدعوة وعمر العطاء الحقيقي ، فالشباب هم عماد الدعوة ، وبيدهم التغيير وتذليل الصعاب ، وهم رمز للإصلاح ، فالتحدي والمنافسة وسيلتان لنجاحهم ، وأضاف قائلاً : لله سنن في الكون ، وسنن في التاريخ وسنن في الحياة والمجتمع ، ومن بينها العمل لله ورفع لواء كلمة الإسلام ، كم من دعوات لا أساس لها وقف لها رجال فنجحت وسادت وانتشرت ، فالنصر يكون حليفاً لنا إذا كنّا مع الإيمان الكامل والعمل المتواصل الدؤوب الذي لا يعرف الكلل والملل ، وقال الشيخ حمدي أرسلان ؛ المدرس بمسجد الفاتح للدراسات الإسلامية باستنبول : إن الأعداء قد بدؤا نشاطاتهم في تركيا بتطبيق النظام العلماني حتى قبل الخمسينيات كانت بعض الشعائر محظورةً ، ففي ذلك الوقت المد لهم صنع رجل واحد الرجال وربّاهم تربية حسنةً في السجون والمعتقلات بيد أنهم كانوا شُطّاراً ومجرمين كباراً ، وقدّم الشيخ أرسلان في خطبته مقتطفات رائعة لصحوة الشباب المسلم في تركيا ، وتمثل بهذه المقولة : إن الحقّ بلا نظام يغلبه الباطل بنظام ، وقال : إننا في عصر ينقصه عدم التنظيم والتنسيق أولاً واختيار الأسلوب الهادئ ثانياً ، وقد أصبنا بمركب النقص والعقدة النفسية رغم أن الله سمّانا مسلمين وبشرنا بأننا الأعلون بشرط أن نكون مؤمنين ، فالعمل الدعوي يحتاج إلى الجدّ والصبر ، وعدم اليأس من المجهودات المبذولة ، وذكر الشيخ أحمد أحمدي يلدرم قصة محمد الفاتح في صباه أنه كان مشغوفاً بكرة القدم ، رغم أن هذا العمل كان مستغرباً ، لكنه أعدّ بهذا المنهج عسكره الذي أقض مضاجع الصليبيين ، وقال الشيخ الأستاذ بدر محمد الجاني من الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة : إن التوكل على الله

والاستمرار على الدعوة الإسلامية شيئان لازمان للحياة الإسلامية .

وقد تداولت الحفلة ساعتين ونصفاً ، وأبدى كل من هؤلاء تهانيهم القلبية بجامعة ندوة العلماء ورئيسها العام السابق العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، شكر مدير الحفلة الضيوف المكرمين وتشريفهم دار العلوم التابعة لندوة العلماء وطلابها وشبابها بأفكارهم وآرائهم وتوجيهاتهم ، وتمنى أن تتكرر مثل هذه المناسبات ، الفرص الدعوية والتربوية من خلال أصحاب العلم والدعوة والفكر، وشكر بوجه خاص رئيس الوفد سعادة الدكتور الشيخ نادر عبد العزير النوري ، الذي كان رائداً للندوة العلمية العالمية في جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وقائد الوفد الكريم إلى رحاب ندوة العلماء ، وإتاحة هذه الفرصة الغالية لها ، وفي الأخير تفضل سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء العام ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، بدعائه الطيب الكريم رافعاً يده إلى الله تبارك وتعالى أن يعز الإسلام والمسلمين ، وقال فيما قال : اللهم اهدنا فيما هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ونستغفرك ونتوب إليك .

وانتهى الحفل بهذا الدعاء ، واشترك فيه فضيلة الشيخ الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي معتمد التعليم لندوة العلماء ، والأساتذة الكبار ، ومعظم طلاب دار العلوم لندوة العلماء .

***

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥١/عاما بالاستمرار ، ويبتدئ بهذا المجلد عامها الثاني والخمسون – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب : "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء – ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص.ب ٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)

حفظه الله تعالى للإسلام

Declaration of Ownership & Other Details

Form 4 Rule8

Name of Paper	:	Al-Baas-el-Islami
Place of Publication	:	Lucknow
Periodicity of Publication	:	Monthly
Chief Editor	:	Saeed al-Azami al-Nadwi
Nationality	:	Indian
Address	:	Al-Baas-el-Islami, Taigore Marg, Lucknow (U.P.)
Nationality	:	Indian
Address	:	21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Ring Road, Dubagga, Post Kakori, Lucknow
Ownership	:	Majlis Sahafat wa Nashriyat, Lucknow

I, Athar Husain, Printer/Publisher declare that the above information is correct to the best of my knowledge and belief.

March 2007